





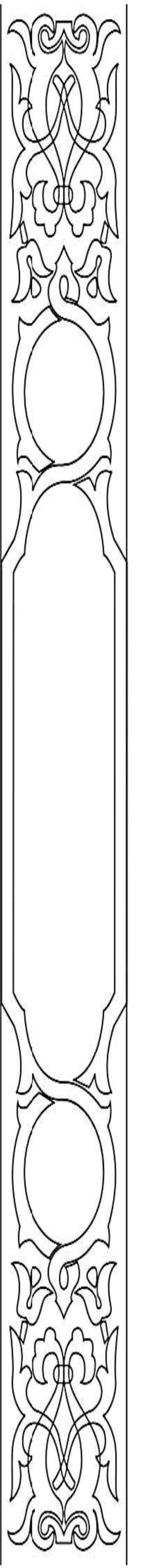
مجلة الدراسات العقدية



مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ مُتَخَصِّصَةٌ

السَّنة (17) - العدد (34) - محرّم (1446هـ) - يوليو (2024م)





نقد مذهب «ديفد هيوم» في مبدأ السَّببيَّة

A Critique of David Hume's Doctrine on the Principle of Causality

إعداد:

د / عبد القادر بن محمد الغامدي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم الدِّراسات الإسلاميَّة في كليَّة العلوم والآداب بالمخواة، بجامعة الباحة

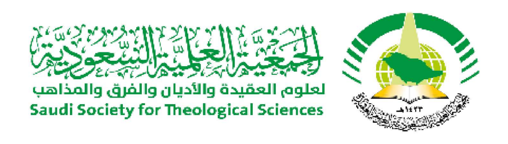
Prepared by:

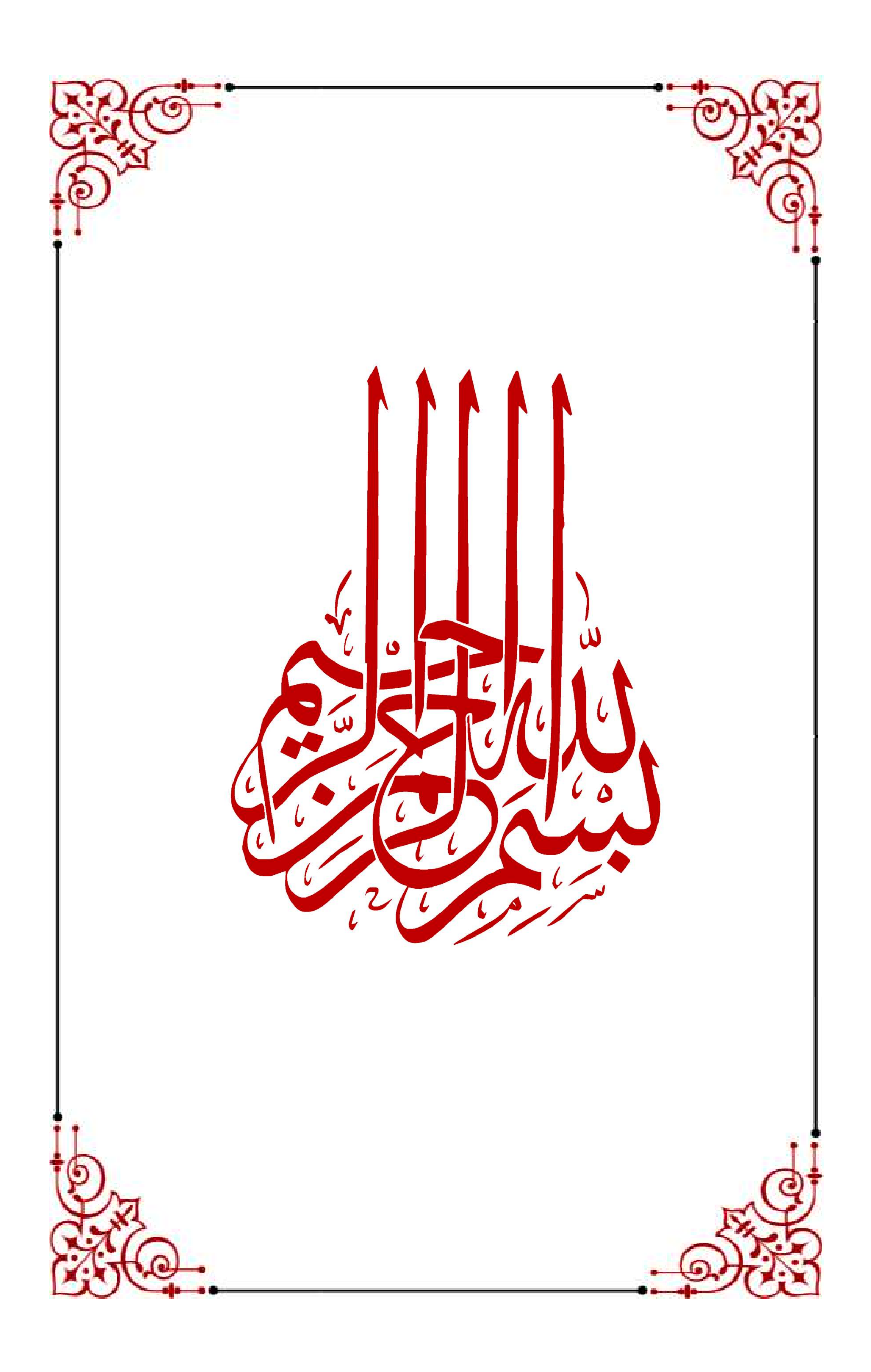
Dr. Abdul Qadir bin Muhammad Al-Ghamdi

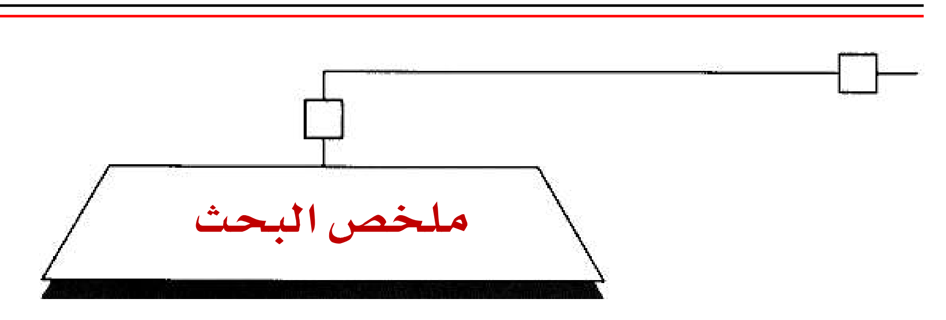
Saudi academic, associate professor in the Department of Islamic Studies at the College of Science and Arts in Al-Mikhwah, University of Al-Baha

Email: amyalghamdi@bu.edu.sa

تاريخ اعتماد البحث A Research Approving Date			تاريخ استلام البحث A Research Receiving Date	
13/12/2023 CE	١٤٤٥/٥/٢٩هـ		24/8/2023 CE	١٤٤٥/٢/٨هـ
	تاريخ نشر البحث A Research publication Date			
	7/7/2024 CE	١٤٤٦/١/١هـ		
	DOI: 10.36046/0793-017-034-006			

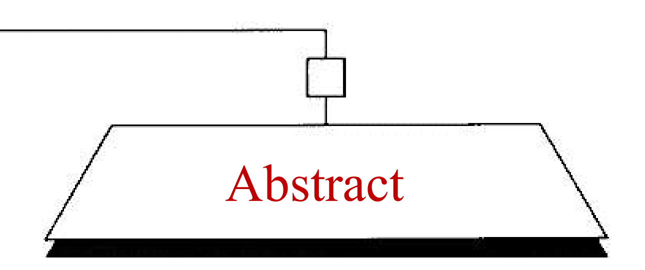



بسم الله الرحمن الرحيم



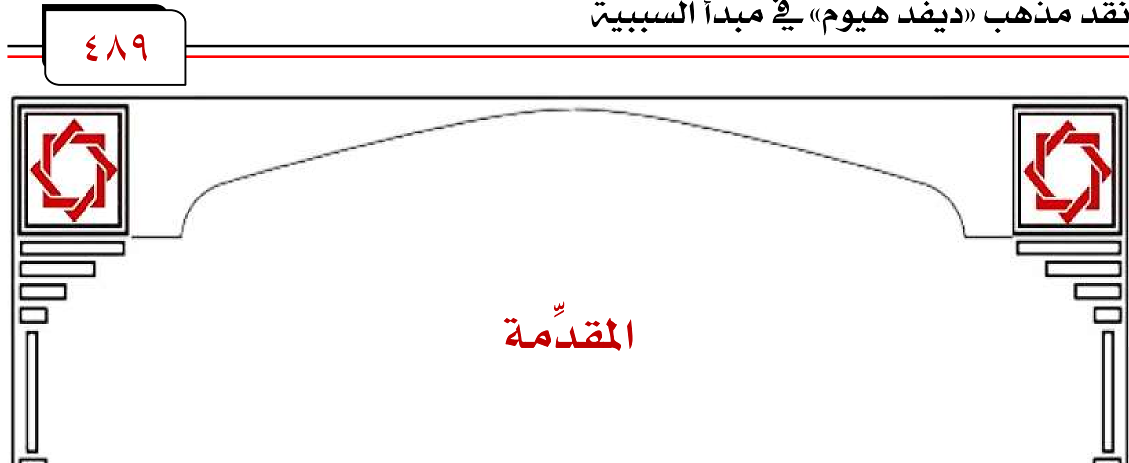
يعتبر «هيوم» أوَّل مَن أنكر القوىٰ التي جعلها الله للأسباب في العصر الحديث وما بعده، فأنكر أثر الأسباب، وجعل العلاقة بين السبب والمسبب مجرد تجاور ومقارنة وتعاقب فقط، وأثَّر ذلك أثرًا هائلًا على الفلاسفة والفلسفة بعده، وقد استدل بحجج واهية، ولما لذلك من أثر على العلم والحضارة والدِّين والأخلاق كان هذا البحث؛ ليبين بطلان ما ادَّعاه، وسبب دعواه، وأثره على مَن بعده، ونقض شبهاته، ونقل ردود الأفعال تجاهه، وقد تبين أنَّ نفيه لأثر الأسباب مجرد سفسطة وجحد للحقائق والضرورات والأوليات الفطرية، وشذوذ عما عليه العقلاء في كل عصر.

الكلمات المفتاحية: (السببيَّة – الفلسفة – هيوم – التجريبيين – الضرورة – التتابع).



Hume is considered the first in the modern era to deny the powers that God has assigned to causes, reducing the relationship between cause and effect to mere contiguity, succession, and association. This stance had a profound impact on subsequent philosophers and philosophies. Utilizing weak arguments, Hume's views significantly influenced science, civilization, religion, and ethics. This research aims to demonstrate the fallacy of Hume's claims, the reasons behind his assertions, their impact on his successors, and to refute his misconceptions. It also addresses the reactions to his views. The study concludes that Hume's denial of the effects of causes amounts to sophistry and a denial of facts, necessities, and innate primary instincts, deviating from what is commonly accepted by rational people across all ages.

Keywords: (Causality - Philosophy - Hume - Empiricists - Necessity - Succession).



المقدِّمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسَّلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد:

فهناك اعتقاد راسخ فطري عقلي بل بدهي أوَّلي ضروري بوجود ارتباط بين الأسباب والمسببات، لولاه لكان العالم يبدو وكأنه عبثي، ولبطلت العلوم، وتعطلت الحضارة، وتعطلت حاجات الناس، فالعلاقة السببية إحدى المبادئ الأساسية التي يقوم عليها العلم.

والاعتقاد بأثر الأسباب وطبائع وخصائص المخلوقات التي جعلها الله ﷻ لها موجود في البشرية منذ وجدوا، بل كان أغلب الفلاسفة والمفكرين يعتقدون بأنَّ وظيفة المعرفة هي الكشف عن الأسباب والعلل المترابطة لظواهر الوجود(١).

وقد اعتنى الفيلسوف ديفد هيوم بمبدأ السببية كثيرًا، وانحرف فيه عن الجادة، فهو أوَّل مَن خرق الإجماع وتجرَّأ وأنكر أثر الأسباب في العصر

(١) انظر: نقد علاقة السببية عند هيوم، ص١٥٤-١٥٥.

الحديث الغربي، وهو ما اشتهر من فلسفته، يقول/ عبدالرحمن بدوي: «لعل أبرز ما اشتهر به هيوم هو رأيه في العلية»(١).

ويقول د/ موسى وهبة: «يرتبط اسم هيوم، في تاريخ الأفكار، بنقد مبدأ السببية وتفكيك فكرة الاقتران الضروري»(٢).

ويقول د/ السيد نفادي: «والحقيقة: أنَّ أوَّل مَن قال بهذه الفكرة في العصر الحديث كان هيوم، كما أنَّ أي بحث حديث أو معاصر عن السببية لا بد أن يبدأ من هيوم سواء كان ذلك بالتأييد المطلق، أو بالتعديل والتطوير، أو حتى بالرفض المطلق»(٣).

وقد ذكر هيوم سبب عنايته بالسببية، فقال: «ليس هناك من مسألة، بسبب أهميتها وكذلك صعوبتها، كانت في يوم من الأيام سببًا للنزاع بين الفلاسفة القدماء والحديثين على السواء، أكثر من المسألة المتعلقة بفعالية الأسباب، أو تلك الصفة التي تجعل النتائج تتبعها حكمًا»(٤).

والحق أنَّ هذا لم يكن صعبًا بل هو مبدأ ضروري فطري، والذي صعب هذا عند هيوم هو مبدؤه في تحصيل المعرفة المقتصر على الحس والتجربة، مع إنكار ما وراء ذلك كما سيأتي توضيحه – إن شاء الله –.

(١) موسوعة الفلسفة ٢/٦١٥.

(٢) انظر: مقدمة "مبحث في الفاهمة البشرية" ص١١.

(٣) السببية في العلم، ص١٢١-١٢٢.

(٤) رسالة في الطبيعة البشري: ص١٧٤.

أثر مبدأ هيوم في السببية على الفكر الغربي بعده:

وقد كان لهيوم أثرًا بالغًا في الفلسفة والفلاسفة بعده، حين جعل علاقة السبب بالمسبب مجرد تتابع وتلازم، فأثبت الأسباب إلَّا أنه أنكر طبائع الأشياء والقوى وأثر الأسباب في المسببات وما يسميه هو «الترابط الضروري»(١).

وأثَّر بهذا المبدأ أثرًا كبيرًا على الفلاسفة بعده، يقول رونالد سترومبرج(٢): «ولقد سبق لنا أن ذكرنا الفلاسفة المعاصرين من تحليليين ووضعيين، الأمر الذي يجعلنا نقول: إنَّ لهيوم التأثير البالغ في أدموند هوسرل(٣) الذي يعتبر أحد مؤسسي ذاك الأنموذج من الفلسفة التي تسيطر اليوم على فرنسا وألمانيا؛ وبهذا يجوز لنا القول: إنَّ هيوم قد يكون القاسم المشترك لكل متفلسف في عصرنا هذا»(٤).

---

(١) "القوة" و"الطاقة" و"الرابطة الضرورية" كلها عند هيوم ألفاظ مترادفة، فلو قلنا: مثلًا إنَّ بين العلة والمعلول رابطة ضرورية، كان ذلك بمثابة قولنا: إنَّ في العلة "قوة" من شأنها أن تنتج المعلول. انظر: مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٣، ديفد هيوم، ص٧٠، السببية في العلم، ص٧٣.

(٢) أحد المؤرخين الأمريكيين من مواليد ١٩١٦م، عين كمدرس بجامعة وسيكونسين بولاية ميلووكي عام ١٩٦٧م، توفي عام ٢٠٠٤م. وهو صاحب كتاب "تاريخ الفكر الأوربي الحديث" الذي ننقل منه كلامه هذا. ص٢٢٧-٢٢٨.

(٣) فيلسوف ألماني ومؤسس مذهب الظاهريات، ولد في موراويا في تشيكوسلوفاكيا في عام ١٨٥٩م، وتوفي سنة: ١٩٣٨م. انظر: موسوعة الفلسفة ٥٣٨/٢.

(٤) تاريخ الفكر الأوربي الحديث. ص٢٢٧-٢٢٨.

ويقول د/ محمود قاسم: «كان عظيم التأثير في الفكر الأوروبي في القرن الثامن عشر»(١).

وهذا التأثير هو في مسألة السببية، كما سبق من كلام د/ بدوي، وموسى وهبة، وكما سيأتي من كلام ريشنباخ وكَنت، وكما هو المشهور عن هيوم.

وممن تأثر به «الوضعية المنطقية»، و«الوضعيون المحدثون»(٢) رغم كل الاعتراضات التي واجهها هيوم يقول د/ زكي نجيب محمود: «يعد ديفد هيوم أبا لحركة فلسفية تعاصرنا اليوم ونعاصرها، وهي الحركة التي يطلق عليها أنصارها اسم «الوضعية المنطقية» حينًا، واسم «التجريبية العلمية» حينًا آخر»(٣).

فإنَّ «الوضعية المنطقية»، و«التجريبية العلمية» تبعوا هيوم في مذهبه: أنَّ الحتمية ليست ضرورية للعلاقة السببية(٤).

فبعد أن كان أثر الأسباب مجمعًا عليه عند الفلاسفة والمفكرون كما اعترف بذلك هيوم نفسه، أصبح كما يقول ريشنباخ(٥): «يقبل العلماء

---

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث، ص٥٨.

(٢) انظر: المعرفة في الإسلام، ص٤٣١-٤٣٢، السببية في العلم، ص١٣٠ وما بعدها.

(٣) ديفد هيوم، ص٧.

(٤) انظر: السببية في العلم، ص٦١.

(٥) هانزر ريشنباخ (١٨٩١م في هامبورغ -١٩٥٣م في لوس أنجلوس). كان متخصصًا في فلسفة العلوم، وأحد المنادين بالتجريبية المنطقية، ومن أسباب شهرته كتابه: "نشأة الفلسفة =

عامة، في أيامنا هذه تفسير السببية على أساس العمومية، وهو التفسير الذي صيغ بوضوح في كتابات ديفيد هيوم»(١).

وأثَّر هيوم كثيرًا في إيمانويل كَنت(٢)، حتى اشتهر عن كَنت قوله: «هيوم أنقذني من سباتي الدوجماطيقي» يعني جعله يشك، والذي لفت نظره في مذهبه، رأيه في مبدأ العلية، وأنَّ التجربة لا تولد الضرورة، وإن كان خالفه كَنت في النتائج كما سيأتي - إن شاء الله -(٣).

كما تأثر به جون استيوارت مل(٤) حيث يرى أنَّ مبدأ السببية العام ليس فكرة فطرية في النفس، أو مبدأ بدهي يجب التسليم به، إذ لا يمكن التسليم بصحة مبدأ ما إلَّا إذا تحققنا من صدقه بالطرق التجريبية(٥).

=

العلمية". انظر: مقدمة المترجم لكتابه هذا، ص١٢.

(١) انظر: السببية في العلم، ص١٣٩.

(٢) إيمانويل كَنت، فيلسوف ألماني (١٧٢٤-١٨٠٤م)، صاحب الفلسفة النقدية، يقول عبد الرحمن بدوي: «أرسطو في العصر القديم، وكَنت في العصر الحديث: هما قمَّتا الفكر الفلسفي»، ويقول عنه: «أعظم فلاسفة العصر الحديث». انظر: إيمانويل كَنت، عبد الرحمن بدوي (١٣)، قصة الفلسفة، ول ديورانت ٣١٥-٣١٦.

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٥٢٥، الموسوعة الفلسفية العربية ١/٢٧٣-٢٧٤، ديفد هيوم، ص١٢.

(٤) جون استوارت مل (١٨٠٦ في لندن- ١٨٧٣م) فيلسوف ومفكر اقتصادي إنجليزي؛ يعد من رموز المذهب النفعي في الفلسفة، وأحد أقطاب المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣٧٣.

(٥) انظر: حكمة الغرب، ص٩٥، المنطق الحديث ومناهج البحث، ص٦٠-٦١، انظر: السببية

=

فكان هذا البحث لذكر حقيقة موقف هيوم من أثر الأسباب، والاقتران الضروري بين الأسباب والمسببات، وحججه على نفي هذه الضرورة، ونقد هذا الإنكار في ضوء العقل والنقل على ضوء عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية بحث موقف هيوم من السببية، كون هذا الموضوع أبرز وأهم ما اعتنى به في مؤلفاته، وأيضًا ما في مذهبه من أثر كبير على الفلسفة والفلاسفة بعده، وما له من أثر سلبي على العقائد والتقدم المادي، وزعزعة قواعد الحضارة.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى نقد موقف هيوم من مبدأ السببية، وما يترتب على ذلك من إنكار طبائع وخصائص الأشياء، وأثر ذلك على المفكرين بعده، وإبطال تلك الأدلة في ضوء العقل والنقل، وبيان مكمن الشبهة عنده فيها.

الدراسات السابقة:

الدراسات حول موقف هيوم من السببية كثيرة، لكن كثير منها يؤيد موقف هيوم، وبعضها يرد بالمبدأ الأشعري وهو موافق لهيوم في إنكار آثار الأسباب مع الاختلاف في سبب هذا الأثر الظاهر للأسباب. وبعضها ينقد

=

في العلم، ص١٢٤. وانظر بحث "موقف رينيه ديكارت من الميتافيزيقا والدين" للباحث، بحث محكم في مجلة جامعة أم القرى رقم (٤٤٠١٠٧٢٣٨٠) وسينشر فيها قريبًا – إن شاء الله.

موقف هيوم هذا بأدلة مجملة عقلية، ولم أجد مَن فصل في النقد وذكر الأدلة النقلية مع الأدلة العقلية وعلى منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

ومن البحوث المفردة العربية التي وقفتُ عليها في هذا الباب:

الأوَّل: بحث: «**نقد علاقة السببية عند هيوم**»، لداود خليفة، نشر في مجلة: إسهامات للبحوث والدراسات، الصادرة عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة غرداية، الجزائر. وهو بحث مختصر يقع في سبع صفحات، تكلم الباحث فيه في مفهوم العلية والفرق بينها وبين السببية، وتقسيم العلل عند أرسطو في أربع صفحات وربع. ثم تكلم عن وقف هيوم من الضرورة بين العلة والمعلول، عرضًا فقط بدون نقد، في أربع صفحات، ثم الخاتمة. ورجع إلى أحد عشر مرجعًا.

الثاني: بحث: «**نقد الملحدين لقانون العلية، دافيد هيوم نموذجًا**»، للدكتور/ محمد الناصر. نشر في مجلة الدليل، التابعة لمؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية التابعة للعتبة الحسينية، والبحث يقع في اثنين وأربعين صفحة مع المقدمات والمراجع. أطال فيه في نقد هيوم من الناحية اللغوية. ونقد هيوم في إهماله للمعقولات. وتكلم عن كون الملاحدة استنجدوا بمذهب هيوم لترويج إلحادهم، وأنَّ الفعل وجد بذاته من غير سبب. وذكر فيه في نتيجة البحث النهائية: أنَّ هيوم تناقض بين ما يعتقده ويطبقه. وأنَّ مذهبه كله قائم على الخلط بين الأحكام الوهمية والأولية. رجع فيه إلى ستة مراجع. وقد نقلتُ منه بعض ما أراه أصاب فيه في بحثه.

الثالث: بحث: «**السببية الناقصة: نقد العقل القاصر عند ديفيد**

هيوم»، لسارة دبوسي. نشر في مجلة الاستغراب، التابعة للمركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، في لبنان. البحث يقع في ستة عشر صفحة مع المقدمة والخاتمة، تحدثت الباحثة فيه عن مفهوم السببية، ثم موقف هيوم من مسألة السببية، ثم نقد موقف هيوم من السببية في صفحة واحدة بينت فيه سفسطة هيوم، وكون مذهبه يؤدي إلى الشك وزعزعة أركان العلم. ثم تحدثت عن التبعات الدِّينية والأخلاقية لمذهب هيوم في ثلاث صفحات، ثم الخاتمة، وهو بحث مختصر موجز.

ويلاحظ على هذه البحوث مع ما في البحثين الأخيرين من نقوض جيدة قليلة: اقتصارها على نقد بعض الجوانب العقلية في مذهب هيوم، من غير نقد مفصل لشبهاته الأخرى الكثيرة، وعدم اعتمادها على الأدلة الشرعية، بل لا تجد فيها دليلًا واحدًا من الكتاب أو السُّنَّة، ولا النقل عن أحد من علماء المسلمين، مع كثرة المنقول عنهم في ذلك، وكثرة الأدلة الشرعية.

منهج البحث:

اتبعتُ في البحث المنهج الوصفي التحليلي ثم النقدي، بقراءة ما كتبه هيوم حول المسألة وترتيبه، ثم نقده في ضوء الكتاب والسُّنَّة، والعقل، ونقل كلام الناقدين له من الغربيين والإسلاميين.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها أهمية البحث، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأوَّل: ترجمة هيوم، وذكر مؤلفاته.

المبحث الثاني: تعريف السببيَّة بين هيوم والمخالفين.

المبحث الثالث: العلاقة بين السبب والمسبب عند هيوم، عرض ونقد.

المبحث الرَّابع: الأدلة النقليَّة والعقليَّة والفطريَّة على إثبات أثر الأسباب.

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: الأدلة النقلية.

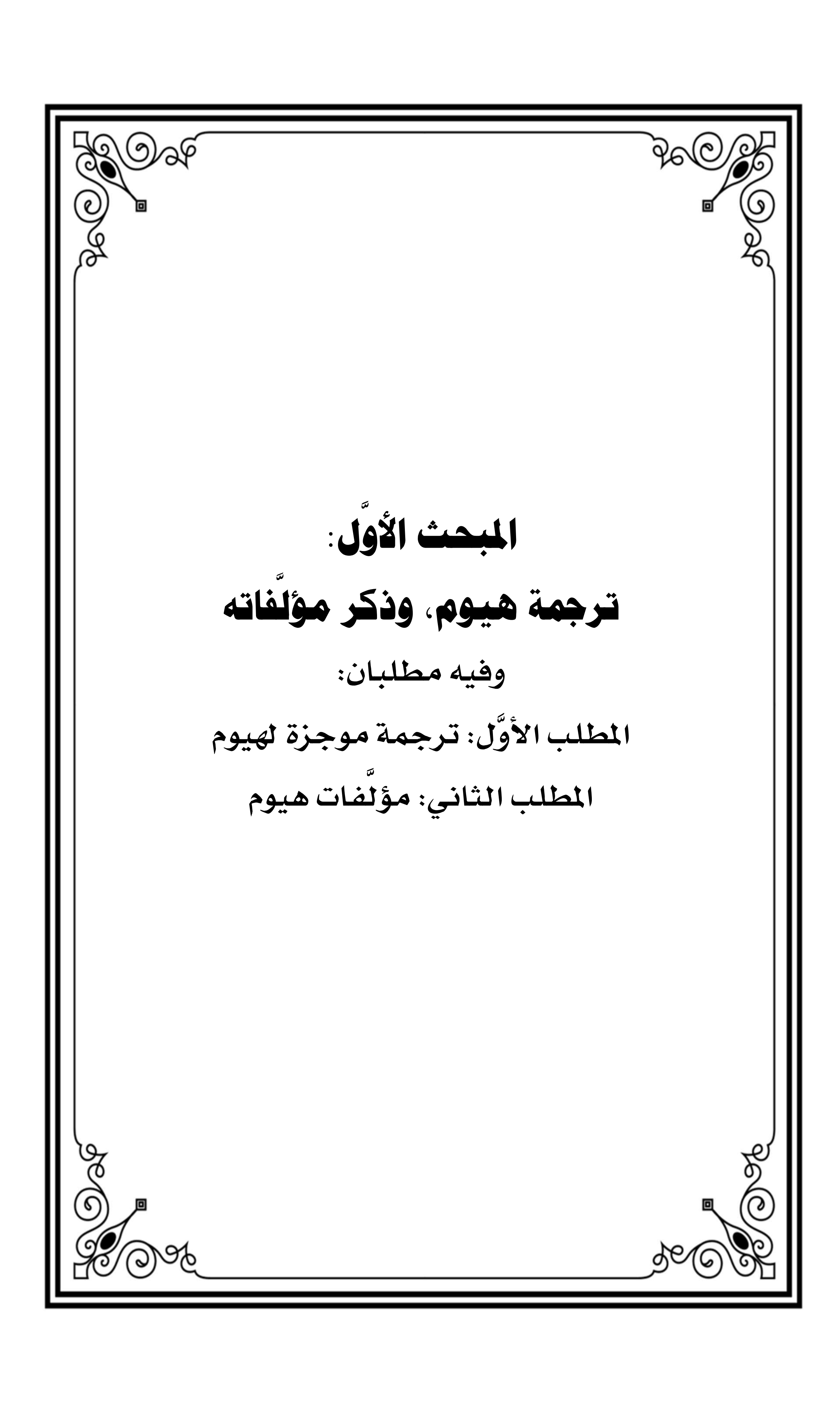
المطلب الثاني: الأدلة العقليَّة والفطريَّة، ونقل كلام فلاسفة الغرب وعلماء الشرق وردهم على هيوم في ذلك.

المبحث الخامس شبهات هيوم في إنكاره للأسباب والطبائع والقوى عرض ونقض.

وفي المبحث خمسة مطالب؛ هي شبهات هيوم، كل شبهة تحت مطلب.

وأبدأ في مباحث البحث مستعينًا بالله ﷻ مستمدًّا منه التسديد والتوفيق.





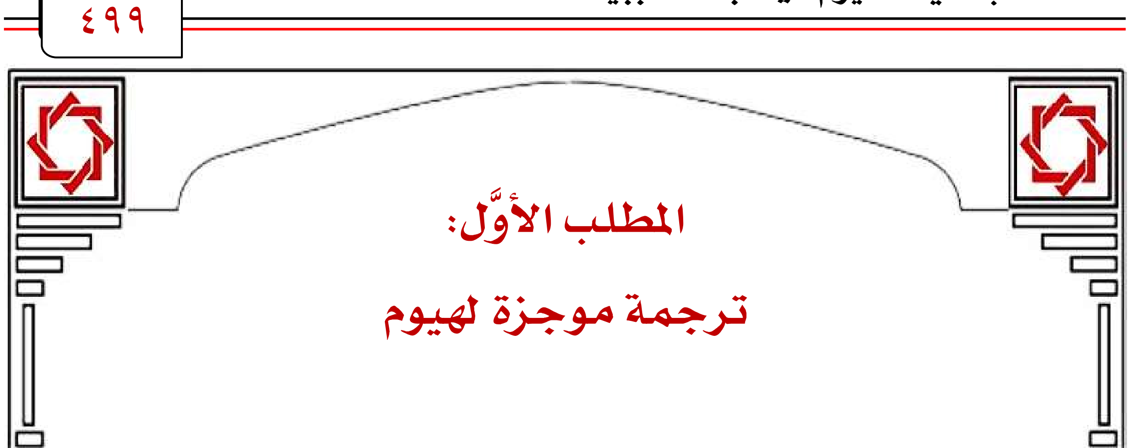
المبحث الأوَّل:

ترجمة هيوم، وذكر مؤلَّفاته

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: ترجمة موجزة لهيوم

المطلب الثاني: مؤلَّفات هيوم



المطلب الأوَّل:
ترجمة موجزة لهيوم

ديفد هيوم فيلسوف ومؤرخ إنجليزي، كان ولوك[(١)]، وباركلي[(٢)] الممثلون الكبار للفلسفة التجريبية الإنجليزية من الفترة الممتدة من الحرب الأهلية في إنجلترا[(٣)] ....

(١) جون لوك (١٦٣٢– ١٧٠٤م) أحد كبار ممثلي النزعة التجريبية، حصل على البكالوريوس في الطب. انظر: موسوعة الفلسفة ٣٧٣/٢، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٥٥.

(٢) جورج باركلي (١٦٨٥–١٧٥٣م) وهو في الفلسفة الإنجليزية بمثابة مالبرانش في الفلسفة الفرنسية، كلاهما رجل دين وكلاهما يجعلان من الله محور مذهبه في الوجود والمعرفة واليقين، انظر: موسوعة الفلسفة ٢٨٧/١، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٧٧، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٩٣.

(٣) الحرب الأهلية الإنجليزية (١٦٤٢–١٦٥١م) هي سلسلة من الحروب الأهلية والمكائد السياسية دارت بين البرلمانيين (مدوري الرؤوس) والملكيين (الفرسان) بشأن حكم إنجلترا. حرضت الحربان الأولى (١٦٤٢–١٦٤٦م) والثانية (١٦٤٨–١٦٤٩م) أنصار الملك تشارلز الأول ضد أنصار البرلمان الطويل، بينما شهدت الحرب الثالثة (١٦٤٩–١٦٥١م) قتالًا بين أنصار الملك تشارلز الثاني وأنصار البرلمان المتبقي. انتهت الحرب بانتصار البرلمانيين في معركة وورسيستر في الثالث من شهر سبتمبر عام ١٦٥١م. انظر: ويكيبيديا "الحرب الأهلية الإنجليزية".

حتى الثورة الفرنسية[١]. ولد في ٢٦ أغسطس سنة (١٧١١م) في مدينة إدنبرة (إسكتلنده شمالي إيطاليا)، وتوفي في المدينة نفسها بالسرطان عقبه لا مبالاة هستيرية في أغسطس سنة (١٧٧٦م).

تولى تربيته الأولى عمه جورج، وكان كما يزعم هيوم متشددًا في الدِّين والأخلاق، يقول هيوم: «وكثيرًا ما كان في مواعظه يشهر بالفتيات اللواتي يكشفن انتفاخ بطونهن عما ارتكبن من خطايا مميتة»[٢]، ويلح أنَّ هذا التشدد الدِّيني -كما يزعم- ولَّد في نفسه كراهية النصرانية.

تأثر هيوم بكتب فرجيل[٣]، ....

(١) انظر: حكمة الغرب، ص٧٦. والثورة الفرنسية هي فترة مؤثرة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية في فرنسا عرفت عدة مراحل استمرت من ١٧٨٩م حتى ١٧٩٩م، وكانت لها تأثيرات عميقة على أوروبا والعالم الغربي عمومًا، انتهت بسيطرة البورجوازية التي كانت متحالفة مع طبقة العمال مع إحقاق مجموعة من الحقوق والحريات للطبقة العاملة والمتوسطة للشعب الفرنسي. أسقطت الملكية وأسست الجمهورية وشهدت فترات عنيفة من الاضطراب السياسي، استوحت الثورة الفرنسية أفكارًا ليبرالية وراديكالية، غيرت بشكل عميق مسار التاريخ الحديث. المؤرخين على نطاق واسع يعتبرون الثورة الفرنسية واحدة من أهم الأحداث في تاريخ البشرية. انظر: تاريخ الفكر الأوربي الحديث، ص٢٧٤، ويكيبيديا "الثورة الفرنسية".

(٢) انظر: موسوعة الفلسفة ٢/٦١٨.

(٣) بوبليوس ورغيليوس مارو أو فرجيل (٧٠ ق. م - ١٩ ق. م) شاعر روماني. اعتبر الرومان الإنيادة التي نشرت بعد وفاته بسنتين إحدى القصائد الوطنية. تعتبر أروع ملحمة لاتينية. انظر: مقدمة "الإنيادة".

وشيشرون(١)، وخاصة كتابه «طبيعة الآلهة»، وبكتب «بيكون»(٢)، و«مالبرانش»(٣)، وتأثر أيضًا بـ نيوتن(٤)، وقرأ كتب ديكارت(٥)(٦).

ولم يكن هيوم فيلسوفًا محترفًا، وإنما اشتهر بالأدب، ونال الشهرة

(١) شيشرون، ماركوس تلليوس (١٠٦- ٤٣ ق. م) فيلسوف وكاتب روماني، معجب بالفلسفة الرواقية، كان من نقلة الفلسفة اليونانية إلى اللاتينية، مؤلفاته مراجع مهمة عن المدارس الرئيسية الثلاث في عصره (التلفيقية، والرواقية، والأبيقورية). انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص١٧٧، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ١/٨٠٩-٩١٠.

(٢) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي (١٥٦١ – ١٦٢٦م)، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على "الملاحظة والتجريب". انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٤٥.

(٣) نيكولا مالبرانش هو فيلسوف فرنسي (١٦٣٨ – ١٧١٥م)، أحد الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر. سعى مالبرانش في أعماله إلى إحياء أفكار أوغسطينوس وديكارت. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص٤٤٩.

(٤) إسحاق نيوتن (١٦٤٢ – ١٧٢٧م) عالم إنجليزي يعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور وأحد رموز الثورة العلمية. نافس نيوتن البرت أينشتاين على لقب أعظم فيزيائي عاش على وجه الأرض. انظر: معجم الفلاسفة، لجورج طرابيشي، ص٦٨٤.

(٥) فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي (١٥٩٦م- ١٦٥٠م)، يلقب بـ «أبي الفلسفة الحديثة»، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم. انظر: موسوعة الفلسفة ١/٤٨٨، الموسوعة الفلسفية المختصرة ص١٨٩.

(٦) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٥٢٥، الموسوعة الفلسفية العربية ١/٢٧٣-٢٧٤، ديفد هيوم، ص١٢.

بالأدب وبكتبه في السياسة والتاريخ والاقتصاد، حتى ضاهت شهرته شهرة صديقه آدم سميث(١).

وقد عمل سكرتيرًا للسفارة الإنجليزية في باريس. وكان هيوم يرى أنه لا مانع من احتمال وجود إله، إلَّا أنه يقرر في نفس الوقت أنَّ هذا الاحتمال ليس من نوع الاحتمال العلمي؛ لأنه يرى أنه لا يمكن أن تقوم معرفة برهانية عن الله(٢)، كما أنَّ هذا الإله عنده لا يشبه إله الأديان إلَّا من بعيد جدًّا، فهو لا يؤمن بأي دين وضعي؛ لذلك رأى أنَّ العناية الإلهية، وخلود النفس، وسائر صفات الله، وكل الأخرويات مجرد خرافات(٣).

فكان هيوم فيلسوفًا - ذا نزعة حسية مغالية انتهت به إلى الظاهرية المطلقة وإلى الشك - إضافة إلى الفلاسفة التجريبيين الذين يرون أنَّ كل المعارف تأتي من التجربة(٤).

وكان شكاكًا ريبيًّا، خصمًا لكافة الأديان، وكان يصف نفسه

---

(١) انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ٢/١٥١٤-١٥١٥، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٥٢٥. و"آدم سميث" (١٧٢٣- ١٧٩٠) فيلسوف أخلاقي وعالم اقتصاد اسكتلندي. يعد مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي ومن رواد الاقتصاد السياسي.

(٢) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، ص١٧٠. تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ص٢٢٤.

(٣) انظر: موسوعة الفلسفة ٢/٦١١، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ٢/١٥١٦.

(٤) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٥٢٥، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٩٦، موسوعة الفلسفة ٢/٦١٤.

بالشاك، وذاعت شهرته باعتباره زنديقًا(١).

لذلك ينقد كل الأدلة السابقة ومنها أدلة ديكارت على وجود الله(٢)؛ لأنه كان متفقًا مع لوك على الأصل التجريبي لفكرة الله، فلا تستثنى فكرة الله عنده من القاعدة التجريبية التي ترجع الأفكار جميعها إلى انطباع حسي(٣).

وبسبب آرائه هذه في الدِّين، رفض مرتين أن يقبل في كرسي الأساتذة في جامعة إدنبرة الذائعة الصيت والشهرة(٤).

وكان هيوم من دعاة العلمانية، يقول جيمس كولينز: «وكان غرضه هو عزل الدِّين – أو ما أطلق عليه في جفاء اسم «الخرافة المستقرة» – عن أي سيطرة فعالة على الحياة الأخلاقية للفرد وللإنسان الاجتماعي ... فقد كان هيوم رائدًا من دعاة الأخلاقية اللادينية أو العلمانية الكاملة»(٥).

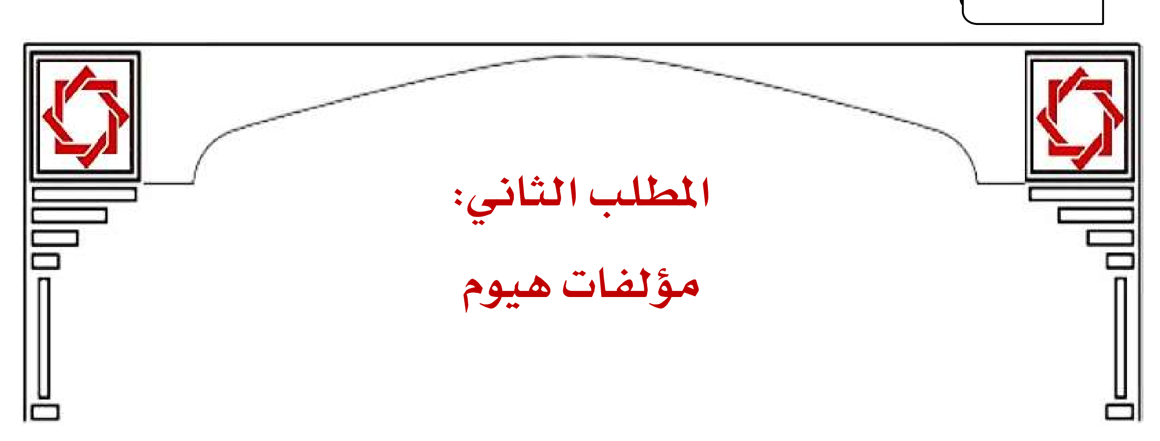
(١) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٥٢٥، تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٩٦، موسوعة الفلسفة ٢/٦١٤.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ص١٩٥، الفلسفة الحديثة عرض ونقد ص٢٨٦-٢٨٩.

(٣) الله في الفلسفة الحديثة، ص١٧٠.

(٤) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، ص٢٢١، حكمة الغرب، ص٩٠، ديفد هيوم، ص١٧، ١٩.

(٥) الله في الفلسفة الحديثة، ص١٧٠، ١٧٩.



المطلب الثاني:
مؤلفات هيوم

١- «**رسالة في الطبيعة الإنسانية**»، وهو في ثلاثة أقسام، قسم عن (الفهم)، وقسم عن (الانفعالات)، وقسم عن (الأخلاق)، وهو أهم كتبه في الفلسفة، يقول د/ زكي نجيب محمود: «أخرج كتابه الذي يحتوي على لباب فلسفته كلها قبل أن يبلغ الخامسة والعشرين»(١)، ولم يكتب له قبول(٢). يقول هيوم: «ولدت الرسالة من المطبعة ميتة ... لقد عاودني الندم مئات المرات ومئاتها على تسرعي بالنشر»؛ لأنَّ الرسالة فيها الكثير من فجاجة الشباب واندفاعه وسذاجته، فلم يستطع فيه إخفاء رفضه من المبادئ الدِّينية(٣). وطبعه محذوفًا منه الفصل المتعلق بالدِّين (وهو ما يتعلق بالمعجزات، والعناية الجزئية)، إلى أنَّ طبعه مرة أخرى سنة (١٧٤٨م) كاملًا مع هذا الفصل. وهذا الكتاب ترجمه للعربية: عبد الكريم ناصيف.

---

(١) ديفد هيوم، ص١١.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٨، الفلسفة الحديثة عرض ونقد، ص٢٧٦.

(٣) انظر: مبحث في الفاهمة البشرية، ص١٩، حكمة الغرب، ص٩٠، ديفد هيوم، زكي نجيب محمود، ص١٤، ١٦.

٢- بحث في «**الفهم (أو العقل) البشري**»، وهو الجزء الأوَّل من الرسالة أعاد طباعته مستقلًّا بعد أن راجعه، وأضاف إليه الفصل المتعلق بالدِّين، وترجمه للعربية: موسى وهبة.

٣- «**الفحص عن مبادئ الأخلاق**» نشره سنة (١٧٤٨م)، وهو الجزء الثالث من كتابه الأوَّل، ونشره بأسلوب آخر. وترجمه للعربية: نبيل باسليوس، ويوسف نبيل.

٤- «**محاورات في الدِّين الطبيعي**» نشره سنة (١٧٧٩م)، وترجمه للعربية: محمد فتحي الشنطي.

٥- «**مناقشات سياسية**»، نشرت سنة (١٧٥٢م)[(١)]، ولم أَرَ هذا الكتاب مترجمًا.

٦- «**تاريخ إنجلترا**» كاملًا في ثلاث مجلدات، وكتب له الشهرة الكبيرة، كتبه في خمس سنوات من (١٧٥٦-١٧٦١م)[(٢)]، ولم أَرَ هذا الكتاب مترجمًا.

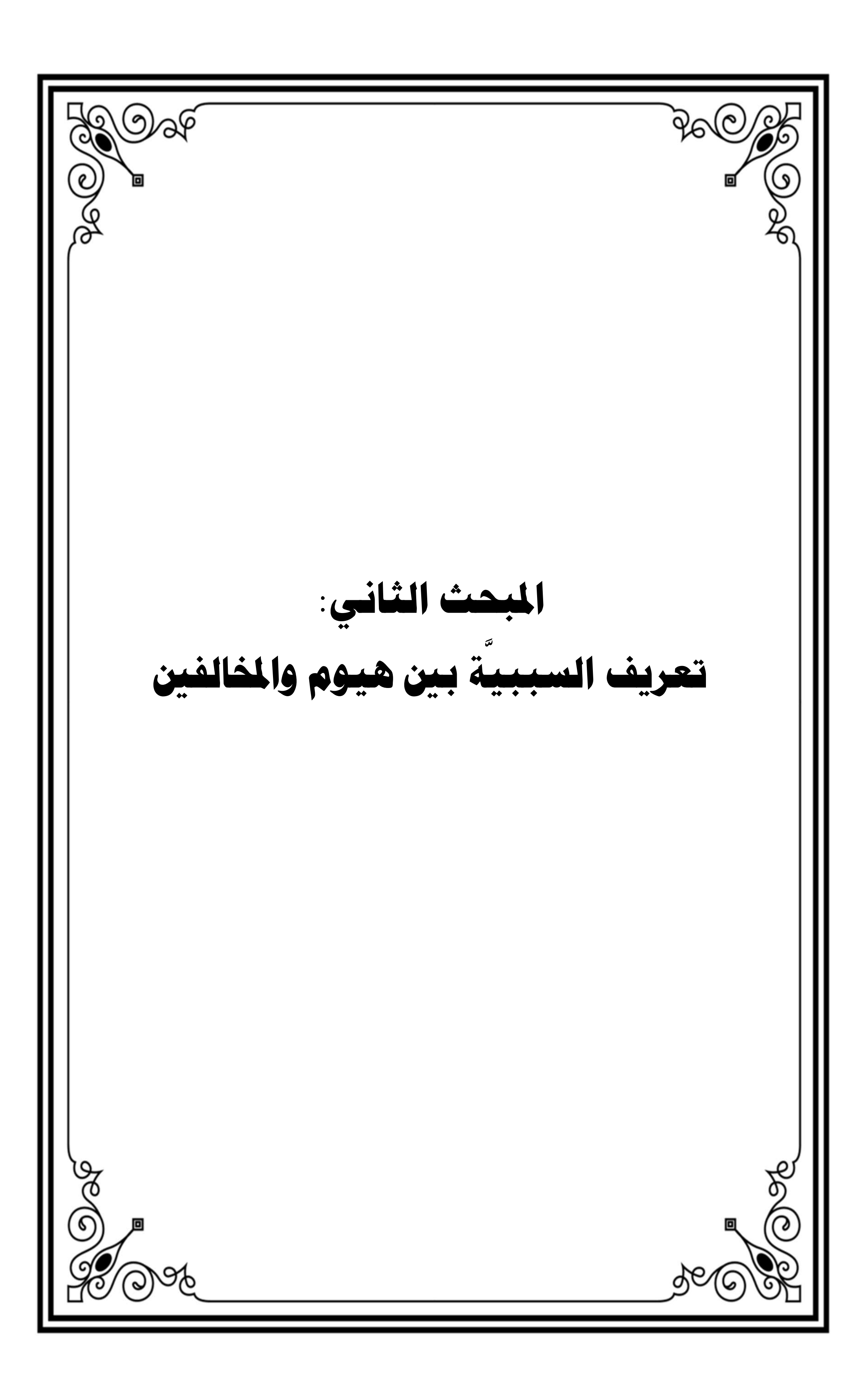
٧- «التاريخ الطبيعي للدِّين»، ترجمه للعربية: حسام الدِّين خضور.

٨- وكتب قبل موته سيرته في كتاب «**حياتي**»[(٣)]، وترجمه للعربية: مروان الرشيد.

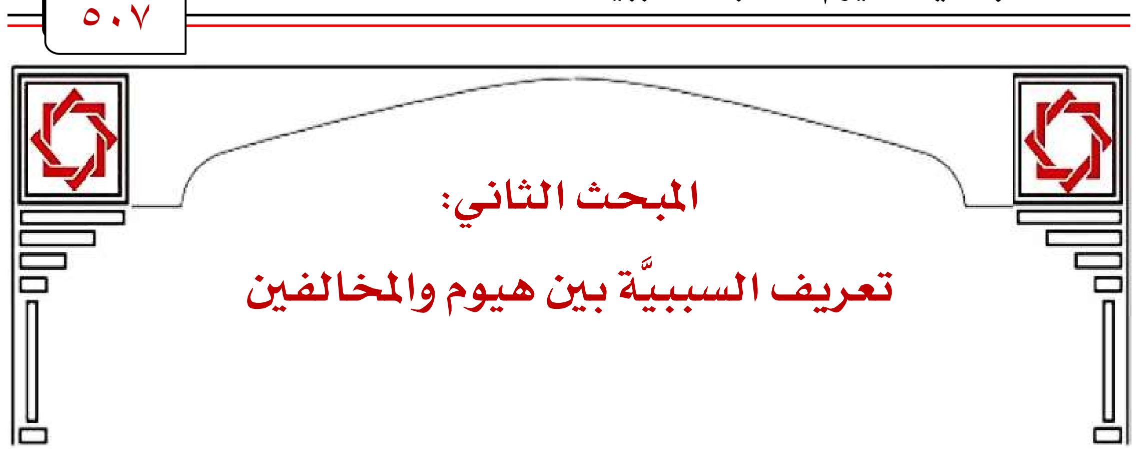
(١) انظر: ديفد هيوم، زكي نجيب محمود، ص١١.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٨٨.

(٣) انظر: ديفد هيوم، زكي نجيب محمود، ص١٩.



المبحث الثاني:
تعريف السببيَّة بين هيوم والمخالفين



المبحث الثاني:
تعريف السببيَّة بين هيوم والمخالفين

أوَّلًا: السبب في اللغة.

هو كل شيء يتوصل به إلى غيره، والجمع: أسباب، وأصله من السبب وهو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء(١).

قال الزمخشري: «السبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم، أو قدرة أو آلة»(٢).

والجمع أسباب، والتسبيب هو إيجاد العلاقة بين السبب والمسبب.

ثانيًا: في الاصطلاح عند الأصوليين والفلاسفة.

عرَّفه الفتوحي وغيره من الأصوليين، بأنه: «ما يلزم من وجوده الوجود، ويلزم من عدمه العدم لذاته»(٣).

---

(١) انظر: لسان العرب ٤٥٩/١، القاموس المحيط، مادة (سبب)، النهاية في غيب الحديث ٣٢٩/٢.

(٢) الكشاف، عند تفسير آية ٨٤ من سورة الكهف.

(٣) شرح الكوكب المنير ٤٤٥/١.

وقال الجرجاني: «السبب: عبارة عما يكون طريقًا للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه»(١).

وقال الغزالي: «حده ما يحصل الشيء عنده لا به»(٢)، وهذا هو تعريفه عند الأشاعرة.

وأمَّا عند الفلاسفة المحدثين، فاختلفت تعريفات السبب بحسب اتجاه الفيلسوف، فقال هوبز(٣): «السبب هو خلاصة كل الحوادث التي تساعد كل منها في إنتاج المسبب المطروح»، بل يعرف هوبز الفلسفة كلها بأنها: «معرفة النتائج من أسبابها، والأسباب من نتائجها»(٤).

وفي (قاموس بولدوين الفلسفي)(٥) ذكر ثلاثة تعاريف:

١- السببية هي الرابطة الضرورية للحوادث في سلسلة زمنية.

٢- فكرة السببية، هي كل ما ينشأ في الفكر أو التصور عن عملية تحدث كنتيجة لعملية أخرى.

٣- أنَّ السبب والنتيجة مصطلحان متلازمان، يشير كل منهما إلى

(١) التعريفات ١/١٥٤.

(٢) المستصفى ١/٧٥.

(٣) هوبز توماس (١٥٨٨-١٦٧٩م) إنجليزي وهو أبو الفلسفة التحليلية. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة ٢/١٤٨١.

(٤) انظر: السببية في العلم، ص٢٣-٢٤.

(٥) قاموس الفلسفة وعلم النفس، للفيلسوف الأمريكي جيمس مارك بلدوين (١٨٦١-١٩٣٤م).

شيئين أو جانبين أو مظهرين متميزين للحقيقة. وهما مرتبطان كل منهما بالآخر بحيث إذا توقف الأوَّل عن الوجود يصبح الثاني نافذ المفعول بعده في التو واللحظة، وإذا سرى مفعول الثاني، توقف الأوَّل عن الوجود في التو واللحظة (١).

أمَّا ديكارت فاعتبر السببية مبدأً فطريًّا وعلاقةً ضروريةً، يقول ديكارت: «إنَّ فكرة السببية فكرة فطرها الله في نفوسنا، فمن المستحيل أن تكون خاطئة؛ أي أنَّ فطريتها دليل على صدقها»(٢).

ويقول جاسم حسن العلوي عن المفهوم العقلي للسببية: «السببية العقلية تعبر عن الضرورة بين مفهومين؛ أنَّ السبب الذي يقود إلى نتيجة ما في ظل شروط معينة يظل يعطي النتيجة نفسها في ظل الشروط نفسها في أي زمان ومكان. كما أنَّ أي فرد تنطبق عليه مواصفات ذلك السبب يعطي النتيجة ذاتها إذا توفرت الشروط ذاتها»(٣).

وكان أوَّل مَن اهتم بالعلية أرسطو في تفسيره للحركة في الكون، وصنفها في أربعة علل هي: العلة الصورية، والفاعلة، والغائية، والمادية (٤).

وهذه التعريفات - عدا الجرجاني والغزالي والأشاعرة عمومًا - تبين ضرورة إثبات أثر للسبب في المسبب أو النتيجة بل جعل ذلك هو المبدأ

(١) انظر: السببية في العلم، ص٢٥، وقد نقله المؤلف عن مرجع أجنبي عن القاموس.
(٢) انظر: المنطق الحديث، حاشية ص٦٣.
(٣) العالم بين العلم والفلسفة، ص١٨١.
(٤) انظر: موسوعة الفلسفة ١/ ١٠٢.

الحقيقي للعقل.

ثالثًا: السببية عند هيوم.

سلك هيوم سبيل الأشاعرة فعرف السببية بقوله: «السبب هو الشيء السابق أو المجاور لآخر، ويكون متحدًا معه بحيث إنَّ الفكرة عن أحدهما تحتم على الذهن أن يشكل فكرة عن الآخر، والانطباع عن أحدهما يشكل فكرة أكثر حيوية عن الآخر»(١).

ويقول: «فكرة السببية يجب أن تكون مستمدة من علاقة ما بين الأشياء، وعلينا أن نسعى لاكتشاف تلك العلاقة ... وفي أي لحظة لا نستطيع اكتشاف هذه الرابطة، فإنَّ علينا أن نستمر في افتراضنا أنها موجودة؛ لهذا يمكننا أن نعتبر علاقة التجاور ضرورية لعلاقة السببية»(٢).

فجعل أثر السبب أنه مجرد مجاورة ومقارنة للمسبب من غير أن يؤثر فيه، كقول الأشاعرة إنَّ السبب: ما يحصل الشيء عنده لا به.

والظاهر تأثر هيوم بالغزالي؛ وذلك عن طريق كتب الغزالي مباشرة، أو عن طريق كتاب «تهافت التهافت» لابن رشد، فقد نقل فيه كلام الغزالي بنصه ورد عليه. وقد أشار إلى هذا د/ علي سامي النشار قال: «رينان يذهب إلى أنَّ هيوم لم يتكلم في هذه الناحية أكثر مما تكلمه الغزالي على الدوام وباستمرار ... وكأنَّ هيوم قد قرأ الغزالي، ونقل عنه فكرته نقلًا

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٧، وانظر: مبحث في الفاهمة البشرية، ص١١١.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٢٥.

تامًّا»[١].

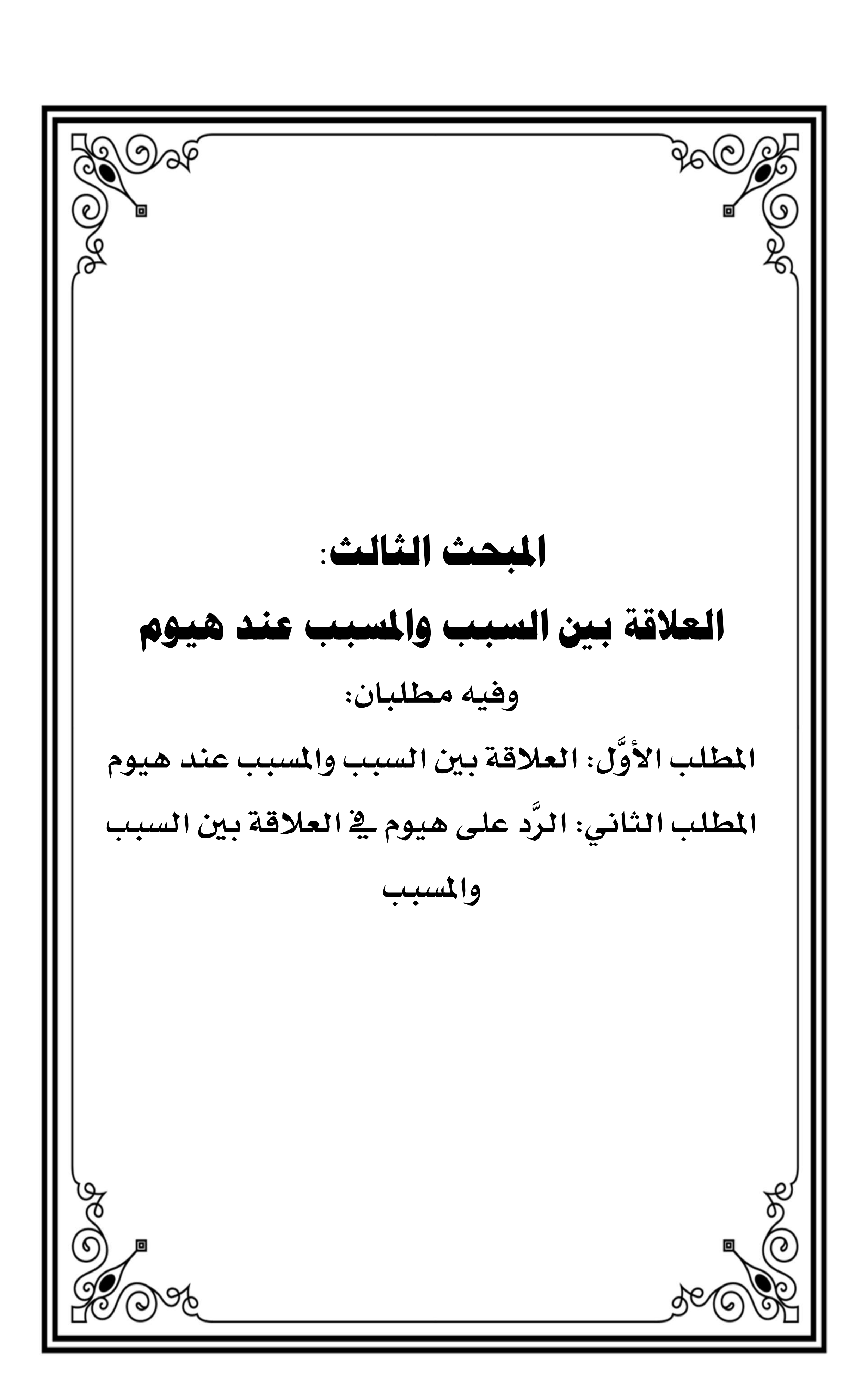
فموقف هيوم موافق لمذهب الغزالي، وقد ذكر هيوم مذهب الغزالي والأشاعره، حين رد على مَن وافقهم من الفلاسفة -كمالبرانش صاحب مذهب المناسبات، وباركلي- في قولهم: إنَّ المؤثر المباشر في الأسباب هو الله ﷻ من غير أثر للسبب. وبهذا يظهر الفرق بين مذهب هيوم ومذهب الغزالي والأشاعرة، في كون الغزالي والأشاعرة وإن اتفقوا مع هيوم في إنكار السبب الطبيعي الخاص، وهو أثر السبب في المسبب، إلَّا أنَّ الغزالي يثبت السببية العامة، وهي سببية ميتافيزيقية، وهي السببية الإلهية، وهم يتبنون مبدأ: (لا فاعل في الوجود إلَّا الله)»[٢].

ونسب هيوم هذا المذهب إلى نفسه وهذه سرقة، كما فعل ديكارت[٣] قبله حيث أخذ عن الغزالي فكرة منهجه وشكه المنهجي، وأخذ أيضًا إنكار الحواس ونسبه إلى نفسه. وهو تقليد أعمى، يدل على تعظيم كبار فلاسفة الغرب لمفكري الإسلام؛ لأنهم أخذوا الصواب والخطأ.

(١) مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص١٦٤-١٦٥.

(٢) انظر: مبحث في الفاهمة البشرية، ص١٠٤-١٠٦، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) انظر ذلك في بحث: "منهج رينيه ديكارت المعرفي" في الفصل الثاني المبحث الثاني: بين ديكارت والغزالي.



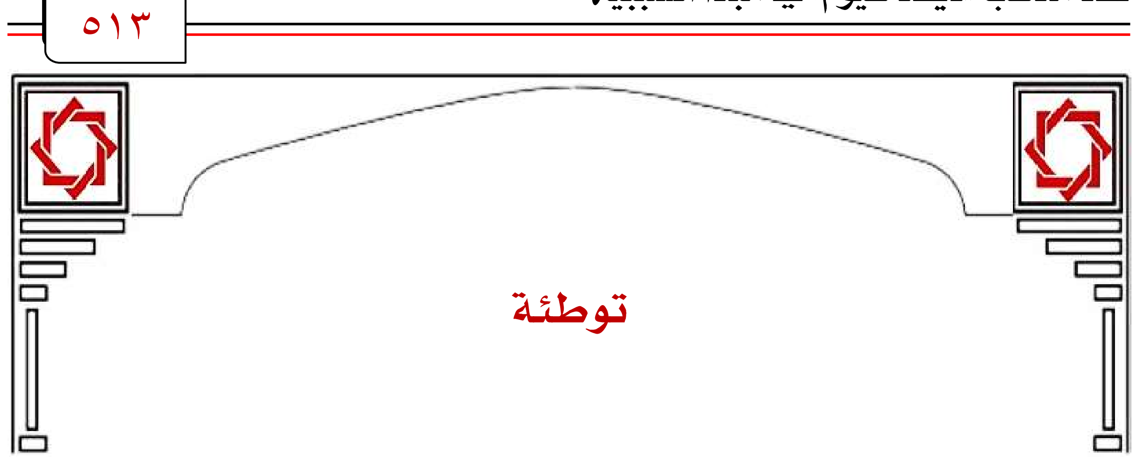
المبحث الثالث:

العلاقة بين السبب والمسبب عند هيوم

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: العلاقة بين السبب والمسبب عند هيوم

المطلب الثاني: الرَّد على هيوم في العلاقة بين السبب والمسبب



توطئة

للأسباب أثر في المسببات، وهذا أمر ضروري فطري أوَّلي؛ لكن هذا الأثر للأسباب لا تقع به النتيجة إلَّا باجتماع أسباب مقارنة وانتفاء الموانع.

والناس في هذا الباب طرفين ووسط، فطرف ينكر أثر الأسباب والقوى والطبائع كالأشاعرة والفلاسفة التجريبيين ومنهم هيوم، وفريق يرى حتمية وجود المسبب بهذا السبب المعين من الحتميين، والقائلين بفعل الطبيعة الحتمي، مع إلغاء الخلق الإلهي، والمعتزلة الذين يرون أنَّ قدرة العبد مستقلة في التأثير في فعله وأنه خالق له.

والحق الذي تدل عليه الأدلة الضرورية من العقل والنقل والفطرة هو الوسط بين هذين الطرفين؛ فلا ينكر أثر الأسباب، ولا يقال بحتمية وقوع المسبب بهذا السبب المعين، فتأثير السبب لا يقع إلَّا إذا وجدت أسباب معاونة، وانتفت الموانع، ولا يوجد سبب مستقل بالتأثير إلَّا مشيئة الله ﷻ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل السُّنَّة لا ينكرون وجود ما خلقه الله من الأسباب، ولا يجعلوها مستقله بالآثار، بل يعلمون أنه ما من سبب مخلوق إلَّا وحكمه متوقف على سبب آخر، وله موانع تمنع حكمه، كما أنَّ الشمس سبب في الشعاع؛ وذلك موقوف على حصول الجسم

القابل به، وله مانع كالسحاب والسقف، والله خالق الأسباب كلها، ودافع الموانع»(١).

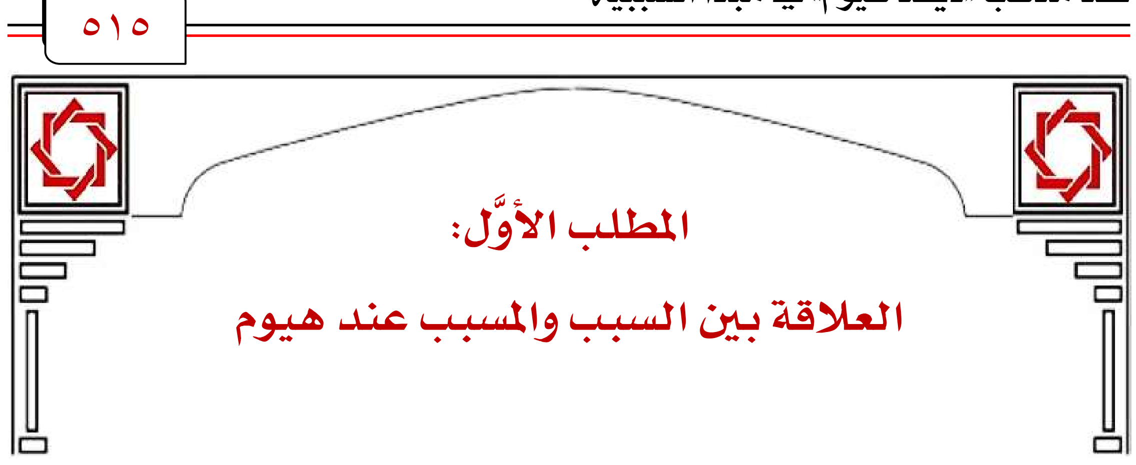
وقال: «فليس في الدنيا والآخرة شيء إلَّا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات»(٢).

ويقول السفاريني: «مذهب السَّلف الصالح أنهم لا ينكرون تأثير الأسباب الطبيعية، بل يقرون بما دل عليه الشرع والعقل من أنَّ الله تعالى ينبت النبات بالماء، وأنَّ الله يخلق السحاب بالرياح، وينزل الماء بالسحاب، ولا يقولون: القوى والطبائع الموجودة في المخلوقات لا تأثير لها، بل يقرون بأنَّ لها أثرًا لفظًا ومعنًى، ولكن يقولون: هذا التأثير هو تأثير الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خالق السبب والمسبب»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ أيضًا: «ومما ينبغي أن يعلم: ما قاله طائفة من العلماء. قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد. ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع»(٤).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٢٩.
(٢) مجموع الفتاوى ٨/٧٠.
(٣) لوائح الأنوار السنية ٢/ ١٤٢.
(٤) مجموع الفتاوى ٨/ ١٦٩.



المطلب الأوَّل:
العلاقة بين السبب والمسبب عند هيوم

هيوم ممن ينكر أي أثر للأسباب، وينكر القوى والطبائع، ويجعل العلاقة بين السبب والمسبب علاقة مجاورة واقتران وتعاقب فقط، يقول هيوم: «علاقتي التماس والتعاقب - دون أي فاصل محسوس - ضروريتان بالنسبة للأسباب والنتائج ... وحين أفكر بعلاقاتها يمكن ألَّا أجد سوى علاقة التجاور والتعاقب وهو ما قلتُ سابقًا: إنه ناقص وغير مقنع»(١).

ويقول: «إنَّ فكرة السبب والنتيجة مستمدة من التجربة التي تقدم لنا أشياء معينة تترابط على الدوام مع بعضها بعضًا»(٢).

وليس المراد أنه أنكر مبدأ السببية العام، فهو يقول: «الحقيقة، لا يوجد شيء، سواء أكان خارجيًّا أم داخليًّا لا ينبغي أن يعتبر إمَّا سببًا أو نتيجةً»(٣).

إلَّا أنه أثبت اسمًا بلا مسمى، وبلا حقيقة، فجعلها أسبابًا لا أثر لها

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص٩٧.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٤٤.

(٣) رسالة في الطبيعة البشرية، ص٩٥.

في مسبباتها، فما أشبهها بكسب الأشعري، بل إنَّ كسب الأشعري سببه إنكار أثر قدرة العبد في فعله، وجعل العلاقة بين السبب والمسبب مجرد مقارنة، يعني أثبت سببًا لا أثر له، بل هيوم أخذ فكرته هذه من الغزالي كما سبق.

لذلك يقال عن مذهب هيوم ما قيل في كسب الأشعري، ما أنشدوا(١):

ممــا يقــال ولا حقيقــة تحتــه	معقولــة تــدنو إلى الأفهــام
الكسب عند الأشعري والحال عنـ	ـــد البهشــمي وطفــرة النظَّــام

ويرى هيوم أيضًا أنَّ هذه العلاقة بين السبب والمسبب مجرد تعود، فيقول: «حين نعتاد رؤية انطباعين مترابطين معًا فإنَّ ظهور أحدهما أو الفكرة عنه تنقل لنا مباشرة فكرة الآخر ... ففكرة الغرق مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بفكرة الماء، وفكرة الاختناق مرتبطة أيضًا بفكرة الغرق إلى حد أنَّ الذهن يقوم بالانتقال دون مساعدة من الذاكرة، إنَّ العادة تفعل فعلها قبل أن يتاح لنا الوقت للتفكير»(٢).

ويقول: «إنَّ الميل الذي تنتجه العادة هو الذي ينتقل من الشيء إلى الفكرة عن ملازمة المعتاد. بالتالي، هذا هو جوهر الضرورة، وبالإجمال،

(١) انظر: منهاج السُّنة ١/١٢٧، درء تعارض العقل والنقل ٣/٤٤٤، ٨/٣٢٠.
(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٢٢.

الضرورة هي شيء ما يوجد في الذهن وليس في الأشياء»[(١)].

ويقول: «لقد سبق ولاحظنا أنَّ الذهن تتحكم به العادة في الانتقال من أي سبب إلى نتيجته»[(٢)].

ويرى أيضًا العلاقة بين الأسباب ومسبباتها مجرد تشابه وتماثل، يقول: «ليس هناك من شيء جديد سواء تم اكتشافه أو إنتاجه في أي من تلك الأشياء بترابطها الدائم وبالتشابه غير المنقطع لعلاقاتها الخاصة بالتعاقب والتجاور، لكن من هذا التشابه تستمد أفكار الضرورة، القوة والفاعلية؛ لذلك فإنَّ هذه الأفكار لا تمثل أي شيء يمت أو يمكن أن يمت للأشياء التي هي مترابطة باستمرار. تلك هي الحجة التي نجد لدى كل نظرة ننظرها إليها، أنه لا يمكن الرد عليها بتاتًا. فالحالات المتماثلة تضل المصدر الأوَّل لفكرتنا عن القوة أو الضرورة وأنها في نفس الوقت لا تأثير لها، نتيجة تماثلها لا على بعضها البعض ولا على أي شيء خارجي؛ لذلك علينا أن نلتفت إلى جهة أخرى للبحث عن منشأ تلك الفكرة»[(٣)].

ويقول: «إنَّ فكرتنا عن الضرورة والسببية تتولد، إذًا بأسرها، عن الاطراد الملاحظ في أعمال الطبيعة حيث تترافق أشياؤها المتشابهة بعضًا مع بعض باستمرار، وحيث يكون الذهن متعينًا بفعل التعود على أن يستدل

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٣، مبحث في الفاهمة البشرية، ص١٠٩.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٤٧، ١٦٥. وانظر: ديفد هيوم، ص٦٧.

(٣) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٢، مبحث في الفاهمة البشرية، ص١٠٩. وانظر: ديفد هيوم، ص٦٢.

الواحد من ظهور الآخر. ويشكل هذان الظرفان كل الضرورة التي ننسبها للمادة، فباستثناء الترافق الثابت للأشياء المتشابهة وما ينتج عنه من استدلال الواحد مع الآخر، ليس لدينا أي مفهوم عن أي ضرورة أو اقتران»(١).

ويرى أيضًا أنَّ ما نراه من وجود الآثار نفسها إذا وجدت تلك الأسباب والشروط وانتفت الموانع، هو مجرد تفكير للنفس بسبب تكرر تلك النتيجة الحتمية، فيقول: «الضرورة أو القوة التي توحد بين الأسباب والنتائج تكمن في حتمية انتقال الذهن من الواحد إلى الآخر، ففعالية الأسباب أو طاقتها لا تتوضع في الأسباب ذاتها ولا في الألوهية ولا في تلاقي هذين المبدأين، بل تمت كليًّا للنفس التي تفكر باتحاد شيئين أو أكثر في كل الحالات الماضية، وهنا تتموضع القوة الحقيقية للأسباب، جنبًا إلى جنب مع ترابطها بالضرورة»(٢).

ويرى أنَّ التعود والتشابه ليس دليلًا على أثر الأسباب، وأنه لا يعطي اليقين بهذه القضية، وإنما هي مجرد احتمال(٣)، وأنه بغير هذا لا يوجد أي دليل على هذه القوة في الأسباب، يقول هيوم: «الضرورة هي نتيجة لهذه المراقبة وهي لا شيء سوى انطباع داخلي في الذهن، أو حتمية الانتقال بأفكارنا من شيء إلى آخر، ودون النظر إليها من هذا المنظار، لا يمكننا

(١) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٠.

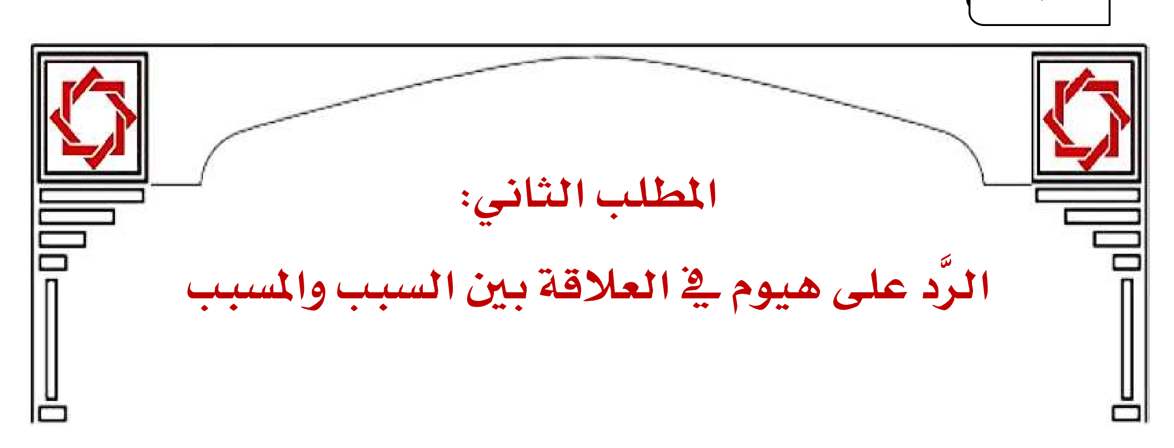
(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٣.

(٣) انظر: ديفد هيوم، ص٦٣.

أبدًا أن نتوصل إلى فكرة أبعد عنها، ولن نستطيع أن نعزوها لأشياء خارجية أو داخلية، لروح أو جسد، لأسباب أو نتائج»(١).



(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٣.



المطلب الثاني:
الرَّد على هيوم في العلاقة بين السبب والمسبب

الرد على مبدأ هيوم هذا يكون من أوجه:

الوجه الأوَّل: لو كان مجرد التتالي والتعاقب هو مفسر لعنوان السببية والعلية من دون أي ارتباط واقعي بينهما لصح أن نقول: بأنَّ بين الليل والنهار سببية وعلية، والحال أنه ليس بينهما ذلك.

ويقال أيضًا: إنَّ العلة والمعلول قد يكونان مقترنين، ومع ذلك ندرك علية أحدهما للآخر(١).

ولو عرضنا على العقل إنكار أثر الأسباب وضده، وهو إثباتها لكان إثباتها أقرب إلى العقل السليم، فإذا بطل إنكارها كما يرى هيوم وأنصاره فبطلانها إثباتها من باب أولى، فكيف مع أنها ضرورة فطرية كما سبق.

الوجه الثاني: أنَّ إنكار الطبائع والقوى والخصائص التي جعلها الله للمخلوقات، جحد للضرورات، ومكابرة للحقائق، وإنكار للبدهيات والأوليات، وشذوذ عما يقر به العقلاء من كل أُمَّة، الذين يرون أنَّ العلاقة

(١) انظر: فلسفتنا للصدر، ص١٢٢.

بين السبب والمسبب ليست مجرد مقارنة وتعاقب، بل هناك مع هذه المقارنة قوى للأسباب تؤثر في مسبباتها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «جمهور العقلاء من المسلمين وغير المسلمين، وأهل السُّنَّة من أهل الكلام والفقه والحديث والتصوف، وغير أهل السُّنَّة من المعتزلة وغيرهم، فيثبتون الأسباب، ويقولون: كما يعلم اقتران أحدهما بالآخر، فيعلم أنَّ في النار قوة تقتضي التسخين، وفي الماء قوة تقتضي التبريد، وكذلك في العين قوة تقتضي الإبصار، وفي اللسان قوة تقتضي الذوق، ويثبتون الطبيعة التي تسمى: الغريزة، والنحيزة، والخلق، والعادة، ونحو ذلك من الأسماء»(١).

وإنكار ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز هو من السخافات والسفسطات التي تضحك العقلاء، يقول ابن تيمية أيضًا: «ومَن قال: إنَّ قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابًا، أو أنَّ وجودها كعدمها، وليس هناك إلَّا مجرد اقتران عادي كاقتران الدليل بالمدلول؛ فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل، ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها، ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها، ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها، وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز. قال بعض الفضلاء: تكلم قوم من الناس في إبطال الأسباب

(١) الرد على المنطقيين، ص٩٤.

والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم»[(١)].

ويرى ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ إنكار أثر الأسباب مكابرة للعيان وجحد للحقائق، فيقول: «ونحن لا ننكر ارتباط المسببات بأسبابها كما ارتكبه كثير من المتكلمين، وكابروا العيان وجحدوا الحقائق»[(٢)].

وقال: «فإنكار الأسباب والقوى والطبائع جحد للضروريات، وقدح في العقول والفطر، ومكابرة للحس، وجحد للشرع والجزاء»[(٣)].

وقد أنكر هذه القوى وجعل الاقتران مجرد عادة قبل هيوم الغزالي كما سبق، حيث قال: «الاقتران بين ما يعتقد في العادة سببًا وما يعتقد مسببًا ليس ضروريًّا عندنا، ثم يتكلم عن كون النار سببًا في الإحراق فيقول: فما الدليل على أنها الفاعل؟ وليس لهم دليل إلَّا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار، والمشاهدة تدل على الحصول عنده، ولا تدل على الحصول به»[(٤)].

وقد رد عليه ابن رشد، فقال: «إنكار وجود الأسباب الفاعلة التي تشاهد في المحسوسات فقول سفسطائي، والمتكلم بذلك إمَّا جاحد بلسانه لما في جنانه، وإمَّا منقاد لشبهة سفسطائية عرضت له في ذلك. ومَن ينفي

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ١٣٦-١٣٧.
(٢) مفتاح دار السعادة ٢/١٧٤.
(٣) مفتاح دار السعادة ٢/١٧٤.
(٤) انظر: تهافت التهافت، ص٥٠٣-٥٠٤.

ذلك فليس يقدر أن يعترف أنَّ كل فعل لا بد له من فاعل ... والعقل ليس هو شيء أكثر من إدراكه الموجودات بأسبابها، وبه يفترق من سائر القوى المدركة، فمَن رفع الأسباب فقد رفع العقل. وصناعة المنطق تضع وضعًا أنَّ هاهنا أسبابًا ومسببات، وأنَّ المعرفة بتلك المسببات لا تكون على التمام إلَّا بمعرفة أسبابها؛ فرفع هذه الأشياء هو مبطل للعلم ورافع له، فإنه يلزم ألَّا يكون هاهنا شيء معلوم أصلًا علمًا حقيقيًّا، بل إن كان فمظنون! ولا يكون هاهنا برهان ولا حد أصلًا، وترتفع المحمولات الذاتية التي منها تأتلف البراهين، ومَن يضع أنه ولا علم واحد ضروري، يلزمه ألَّا يكون قوله هذا ضروريًّا!»(١).

وقال ابن حزم: «ذهبت الأشعرية إلى إنكار الطبائع جملة، وقالوا: ليس في النار حر، ولا في الثلج برد، ولا في العالم طبيعة أصلًا، وقالوا: إنما حدث حر النار جملة، وبرد الثلج عند الملامسة. قالوا: ولا في الخمر طبيعة إسكار، ولا في المني قوة يحدث بها حيوان، ولكن الله ﷻ يخلق منه ما شاء، وقد كان ممكنًا أن يحدث من مني الرجال جملًا، ومن مني الحمار إنسانًا ... وما نعلم لهم حجة شغَّبوا بها في هذا الهوس أصلًا، وقد ناظرُت بعضهم في ذلك فقلتُ له: إنَّ اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم؛ لأنَّ من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والنجيزة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم، ولا يشك ذو علم في أنَّ هذه الألفاظ استعملت في

(١) تهافت التهافت، ص٥٠٧.

الجاهلية وسمعها النبي ﷺ فلم ينكرها قط، ولا أنكرها أحد من الصحابة ﵃، ولا أحد ممن بعدهم حتى حدث مَن لا يعتد به»(١).

وقال: «إنما العمدة هاهنا ما شهدت به أوائل العقول والحواس من أنَّ الأشياء إنما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التي منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أسماؤها؛ فللماء صفات وطبائع إذا وجدت في جرم ما سمي ماء، فإذا عدمت منه لم يسمَّ ماء ولم يكن ماء، وهكذا كل ما في العالم ولا تحاشي شيئًا أصلًا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه في العسل أو في الخمر»(٢).

ويلزم هيوم والغزالي حين أنكرا ما في المخلوقات من قوى وطبائع ألَّا يوجد فرق بين القادر والعاجز، ولا بين القدرة وغيرها، يقول ابن تيمية: «وكذلك أيضًا لزم مَن لا يثبت في المخلوقات أسبابًا وقوى وطبائع، ويقول: إنَّ الله يفعل عندها لا بها، فلزمه ألَّا يكون فرق بين القادر والعاجز، وإن أثبت قدرة وقال: إنها مقترنة بالكسب، قيل له: لم تثبت فرقًا معقولًا بين ما تثبته من الكسب وتنفيه من الفعل، ولا بين القادر والعاجز، إذا كان مجرد الاقتران لا اختصاص له بالقدرة، فإنَّ فعل العبد يقارن حياته وعلمه وإرادته وغير ذلك من صفاته، فإذا لم يكن للقدرة تأثير إلَّا مجرد الاقتران فلا فرق

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/١١.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل ٥/٤٠.

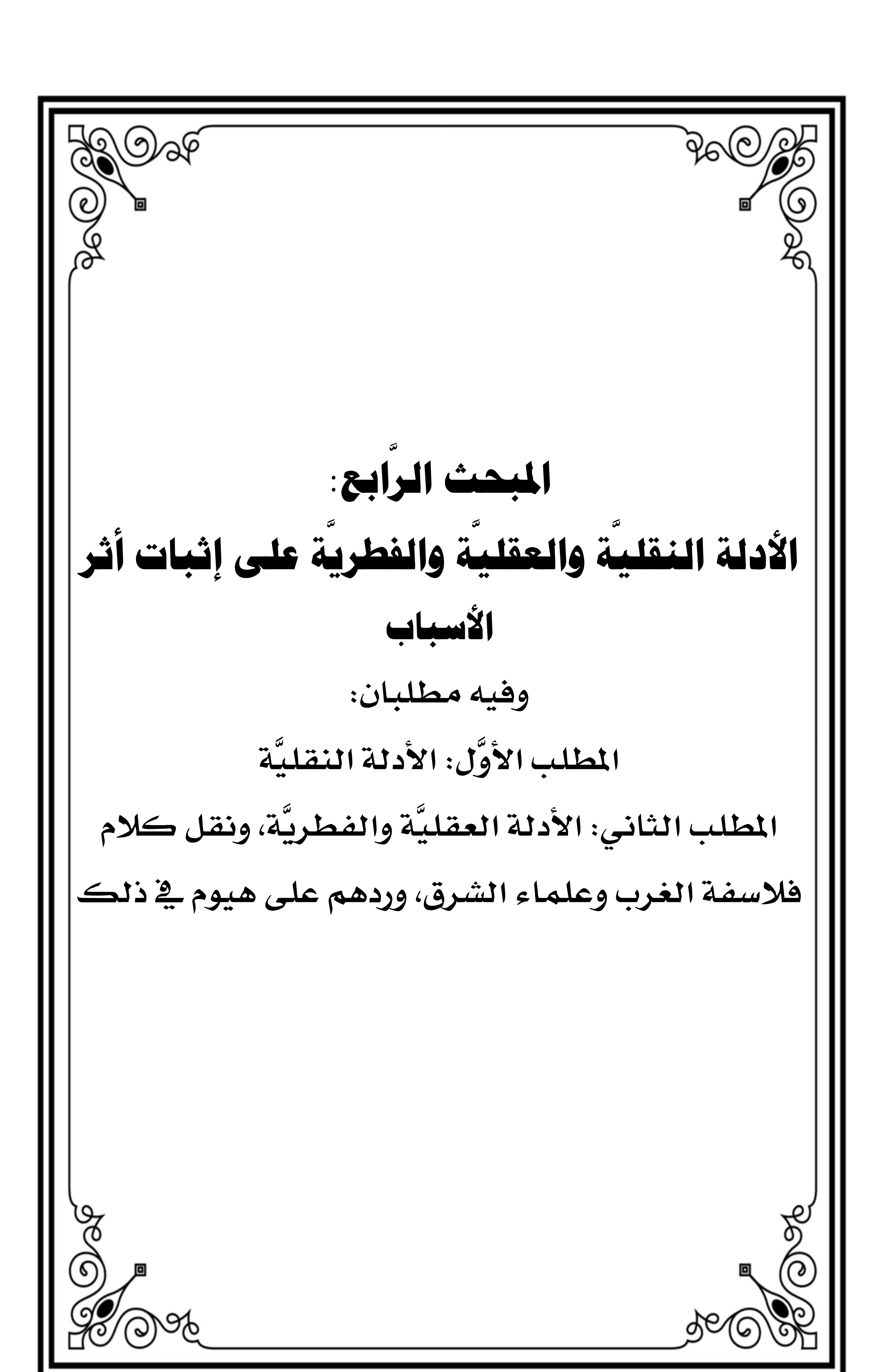
بين القدرة وغيرها»(١).

وإنكار الأسباب يجعلنا نترك فعل الأسباب، فتضيع الحياة وتصبح لا معنى لها سوى الفوضى والاضطراب، والخبط خبط عشواء؛ ولهذا الإنكار يمنع هيوم ضرورة وقوع أثر السبب في المسبب في الحاضر والمستقبل، أو إسقاط الماضي على المستقبل، فينكر مثلًا أنه يمكن إذا وضعت الورق على النار غدًا أنها ستحترق؛ لأنَّ ما سبق مجرد تعود، وهذه مكابرة! والدليل أنه لا يمكن أحد إذا أراد إحراق ورقة أن يستعمل سوى النار، فلن يستعمل الماء مثلًا للإحراق، أو النار للتبريد؛ لذلك فهيوم يخالف في كل حياته العملية ما يقرره نظريًّا؛ ولذلك توجه إليه النقد اللاذع من كثير من الفلاسفة بعده، وقالوا: «يترتب على ذلك أن يكون لكل حادث كيان خاص ليس له أدنى صلة بكيانات أخرى موجودة في الماضي. ويؤدي مثل هذا القول إلى النتيجة التالية: على العالم أن يخلق من جديد في كل لحظة، وبطريقة غامضة. وبناء على ذلك افترض هيوم ما شرع في البرهنة عليه، أعني: ليس ثمة ارتباط بين الماضي والمستقبل، وبكلمات أخرى، رفض المنتج السببي الدائري»(٢).



(١) منهاج السنة ٣/ ١١٣.

(٢) السببية في العلم، ص١٣٠.



المبحث الرَّابع:

الأدلة النقليَّة والعقليَّة والفطريَّة على إثبات أثر الأسباب

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: الأدلة النقليَّة

المطلب الثاني: الأدلة العقليَّة والفطريَّة، ونقل كلام فلاسفة الغرب وعلماء الشرق، وردهم على هيوم في ذلك



المطلب الأوَّل:
الأدلة النقليَّة

الأدلة من القرآن العظيم، والسُّنَّة النبوية الصحيحة على إثبات الأسباب لا تحصى، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسُّنَّة لزاد على عشرة آلاف موضع، ولم نقل ذلك مبالغةً بل حقيقة ويكفي شهادة الحس، والعقل، والفطرة»(١).

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ: «ربط الأسباب بمسبباتها شرعًا وقدرًا، وجعل الأسباب محل حكمته في أمره الدِّيني والشرعي، وأمره الكوني القدري، ومحل ملكه وتصرفه»(٢).

والمراد بإثبات الأسباب إثبات أثرها، وإلَّا فلا معنى لإثباتها من غير أثر إلَّا العبث.

فمن الأسباب المادية في القرآن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [سورة البقرة:٢٢]، قال الرازي عند تفسير هذه الآية: «لا شك أنه تعالى قادر على

(١) شفاء العليل ١/ ١٨٨.
(٢) شفاء العليل ١/ ١٨٨.

خلق هذه الثمار ابتداءً من غير هذه الوسائط ... إلَّا أنَّا نقول: قدرته على خلقها ابتداءً لا تنافي قدرته عليها بواسطة خلق هذه القوى المؤثرة والقابلة في الأجسام ... وإنما أجرى الله تعالى العادة بأن لا يفعل ذلك إلَّا على ترتيب وتدريج» ا. هـ. بتصرف.

ومن الأسباب المعنوية قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [سورة الأنفال:٢٩].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل موضع مرتب فيه الحكم الشرعي، أو الجزائي على الوصف أفاد كونه سببًا له كقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [سورة المائدة:٣٨]»، وذكر آيات كثيرة إلى أن قال: «وهذا أكثر من أن يستوعب، وكل موضع تضمن الشرط والجزاء أفاد سببية الشرط والجزاء؛ وهو أكبر من أن يستوعب ... وكل موضع تقدم ذكرت فيه الباء تعليلًا لما قبلها بما بعدها أفاد التسبب»(١).

والقرآن الكريم مملوء من ترتيب الأحكام الكونية والشرعية والثواب والعقاب على الأسباب بطرق متنوعة، فيأتي بباء السببية تارة كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾ [سورة الحاقة:٢٤]، ويأتي باللام تارة كقوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ﴾ [سورة إبراهيم:١]، ويأتي بذكر الوصف المقتضي

(١) شفاء العليل ١/١٨٨.

للحكم تارة كقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [سورة الطلاق:٢]، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اقتضت حكمته ربط المسببات بأسبابها(١).

وعليه: تبدو العلاقة السببية واضحة في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، فالمكونات مرتبطة فيما بينها، فلا يوجد الشيء إلَّا بوجود سببه، حتى العلاقات الإنسانية والاجتماعية ترتبط بعلاقات سببية، وكذلك الأحكام الشرعية.

وذكر القرآن أنَّ الأسباب ليست مستقلة بالتأثير فلا تؤثر إلَّا بعد مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ۝١٥﴾ [سورة الحج:١٥]، يقول الشيخ ابن سعدي: «معنى هذه الآية الكريمة: يا أيها المعادي للرسول محمد ﷺ، الساعي في إطفاء دينه، الذي يظن بجهله، أنَّ سعيه سيفيده شيئًا، اعلم أنك مهما فعلت من الأسباب، وسعيت في كيد الرسول؛ فإنَّ ذلك لا يذهب غيظك، ولا يشفي كمدك، فليس لك قدرة في ذلك»(٢).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ [سورة الواقعة:٦٣-٦٥]، يقول ابن سعدي: «أي: أأنتم أخرجتموه نباتًا من الأرض؟ أم أنتم الذين نميتموه؟ أم أنتم الذين أخرجتم سنبله وثمره حتى صار حبًّا حصيدًا وثمرًا نضيجًا؟ أم الله

(١) انظر: مدارج السالكين، ٣/٤٧٨.

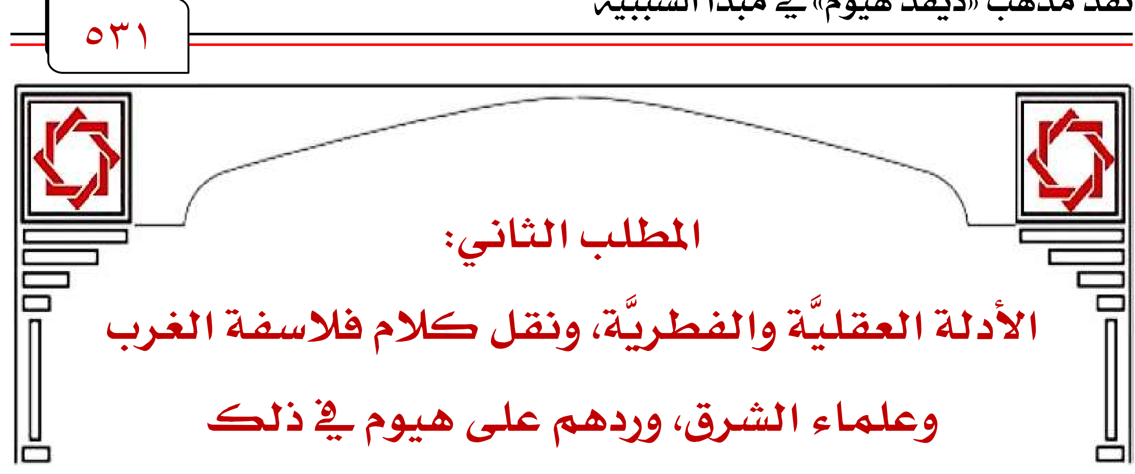
(٢) تيسير الكريم الرحمن، عند تفسير الآية.

الذي انفرد بذلك وحده، وأنعم به عليكم؟ وأنتم غاية ما تفعلون أن تحرثوا الأرض وتشقوها وتلقوا فيها البذر، ثم بعد ذلك لا علم عندكم بما يكون بعد ذلك، ولا قدرة لكم على أكثر من ذلك، ومع ذلك فنبههم على أنَّ ذلك الحرث معرض للأخطار لولا حفظ الله، وإبقاؤه لكم بلغةً ومتاعًا إلى حين»(١).

فهذا يدل أنَّ الاطراد في نظام السببية خاضع للمشيئة الإلهية، والأدلة من القرآن والسُّنَّة على هذا الأصل لا تحصى، فأكتفي بما سبق.



(١) تيسير الكريم الرحمن، عند تفسير الآية.



المطلب الثاني:

الأدلة العقليَّة والفطريَّة، ونقل كلام فلاسفة الغرب وعلماء الشرق، وردهم على هيوم في ذلك

أوَّلًا: توطئة.

الأدلة العقلية الفطرية على إثبات أثر الأسباب والقوى والطبائع التي جعلها الله ﷻ في المخلوقات لا تحصى، بل إنَّ أثر السبب من أكثر المبادئ تداولًا في الحياة اليومية، بل إنه بدهي حتى عند الحيوانا؛ت فالحيوان يبحث عن مصدر الحركة غريزيًّا ليعرف سببها، ويفحص عن منشأ الصوت ليدرك علته.

فهو شيء ضروري مغروز في فطر الناس؛ لذلك تنتشر أمثال صحيحة لا ينكرها عاقل، كمثال: «كل شيء له سبب»، ومثل: «إذا عُرف السبب بطل العجب»، و«تعددت الأسباب والموت واحد»، ونحوها، وكل يعرف مثلًا إذا ضرب رجل آخر وجرحه أنَّ ضربته هي السبب، وأنَّ الجرح لم يأتِ بدون سبب، وأنه إذا حصل حادث فلا بد له من سبب، فيبحث رجل المرور عن الأسباب، هل خالف أحد قواعد المرور بالإسراع الزائد أو عكس الطريق أو نام أثناء القيادة ونحو ذلك، وأنَّا نضغط زر اللمبة لتضيء، وأنها إذا لم تضيء فإنَّ هناك سببًا فنبحث عنه، وأنَّ الشمس سبب نمو النبات، فنعرض النبات له، مع الأسباب الأخرى، وأنَّ الطاولة إذا تحركت أو

انكسرت فلا بد من سبب؛ وهكذا[١].

ولولا السببية العقلية لما أمكن إثبات الواقع المحسوس وما يسير عليه من نظريات وقوانين علمية تفتح المجال أمام المعارف البشرية[٢].

وقد تقرر أنَّ من أنواع الاستقراء التام، والمبادئ الكلية: أنَّ كل حادث لا بد له من سبب، وأنه متىٰ توفرت الشروط وانتفت الموانع بين السبب والمسبب حصلت النتيجة المطردة، والقائمة على الخاصية التي جعلها الله للسبب في التأثير بإذنه ﷻ.

ثانيًا: نقل كلام فلاسفة الغرب وعلماء الشرق، وردهم على هيوم في ذلك.

من مواقف فلاسفة الغرب في ذلك ما قرره جون لوك، ثم قرره بعده كَنت أنَّ المبدأ السببي هو المبدأ الحقيقي للعقل[٣].

ويقول كورنو[٤] وهو الذي صاغ أوَّل نظرية موضوعية للمصادفة في الفكر الحديث: «ما من ظاهرة، أو حادث يحدث إلَّا له سبب؛ ذلك هو المبدأ الموجه للعقل البشري والمنظم لعملياته خلال البحث في الحوادث الواقعية. قد يحدث أحيانًا أن يغيب عنا سبب ظاهرة، أو أن نتخذ سببًا ما

(١) انظر: السببية في العلم، ص١١-١٢.
(٢) انظر: فلسفتنا للصدر، ص٣٥٠.
(٣) السببية في العلم، ص٢٣-٢٤.
(٤) أنطوان أوجست كورنو المفكر والعالم الرياضي الفرنسي الكبير (١٨٠١-١٨٧٧م).

ليس بسبب، ولكن لا عجزنا عن تطبيق مبدأ السببية، ولا الأخطاء التي نقع فيها عند تطبيقه بقادرين على زعزعة إيماننا بهذا المبدأ الذي نعتبره قاعدة مطلقة ضرورية»(١).

وهيوم يعترف بإجماع الناس على هذا المبدأ، وأنه مبدأ مركوز في النفوس يستحيل محوه، إلَّا أنه ارتكب مخالفة هذه الضرورة وجازف وأنكره بسبب منهجه في المعرفة، يقول: «ويعتبر هذا من المسلَّمات في كل العمليات الفكرية دون أي برهان معطى أو مطلوب. إذ يفترض أن يكون موجودًا بالبديهة وأن يكون واحدًا من تلك المبادئ التي رغم أنها قد تتعرض للنكران قولًا؛ فإنَّ من المستحيل أن يشك الناس فيها من قلوبهم»(٢).

فكونها مسلَّمة، وأنها من المستحيل أن يشك الناس فيها من قلوبهم يبين أنها عند الناس من الضرورات، والتي تعريفها أنها: «ما يلزم العقل لزومًا لا يجد إلى الانفكاك عنه سبيلًا»(٣)، وهي بدهيات العقول التي تعرف بأنها: «العلوم الأولية التي يجعلها الله في النفوس ابتداء بلا واسطة»(٤).

لذلك يقول توماس ريد(٥) ناقدًا هيوم في هذا المبدأ: «نحن مرغمون على التصديق - بالمبدأ العلي - لأنه صادر عن التركيب الباطني لطبيعتنا.

(١) انظر: السببية في العلم، ص١٥٨.
(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص٩٩.
(٣) انظر: التعريفات، الجرجاني ص١١٧.
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية ٩/٧١.
(٥) فيلسوف أيرلندي (١٧١٠- ١٧٩٦م)، انظر: الله في الفلسفة الحديثة، ص١٨٠.

والرابطة بين المعلولات المدبرة وعلة ذكية هي أيضًا مبدأ ضروري من الوجهة الميتافيزيقية، تقدمه لنا الفطر السليمة في حدس مباشر»(١).

ومع ذلك يحاول هيوم التشكيك فيها، فيقول: «لكن إذا ما تفحصنا هذا المبدأ من خلال فكرة المعرفة المذكورة آنفًا سنكتشف فيه عدم وجود أثر لأيَّة يقينية بديهية كهذه، بل على العكس سنجد أنه من طبيعة غريبة تمامًا على ذلك النوع من الاقتناع»(٢).

كما أنه اعترف بحتمية أثر الأسباب؛ إلَّا أنه فعل نفس المجازفة، يقول هيوم: «الضرورة هي نتيجة لهذه المراقبة وهي لا شيء سوى انطباع داخلي في الذهن أو حتمية الانتقال بأفكارنا من شيء إلى آخر، ودون النظر إليها من هذا المنظار، لا يمكننا أبدًا أن نتوصل إلى فكرة أبعد عنها ولن نستطيع أن نعزوها لأشياء خارجية أو داخلية، لروح أو جسد، لأسباب أو نتائج»(٣).

وقال: «الضرورة أو القوة التي توحد بين الأسباب والنتائج تكمن في حتمية انتقال الذهن من الواحد إلى الآخر، ففعالية الأسباب أو طاقتها لا تتموضع في الأسباب ذاتها ولا في الألوهية ولا في تلاقي هذين المبدأين، بل تمت كليًّا للنفس التي تفكر باتحاد شيئين أو أكثر في كل الحالات الماضية،

(١) الله في الفلسفة الحديثة، ص١٨٠-١٨١.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص٩٩.

(٣) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٣.

وهنا تتموضع القوة الحقيقية للأسباب، جنبًا إلى جنب مع ترابطها بالضرورة»(١).

فهو يعترف بهذه الحتمية، وهو يدل على ما واجهه من صعوبة في إنكار أثر الأسباب، وعلى جرأته في خرق إجماع العقلاء إلَّا مَن سفسط!.

ولا شك أنَّ هذا من السخف في التفكير، يقول الدكتور/ محمود قاسم: «من السخف في التفكير أن تكون ضروب التعميم التي انتهى إليها الرجل البدائي، مثل: الغذاء قوام الحياة، والنار تطهي الطعام، نقول من السخف أن تكون مثل هذه التعميمات غير جديرة بثقتنا. هذا إلى أنَّ تقدم الإنسانية وتطورها كفيل بتصحيح الضروب الخاطئة من التعميم، وبالانتقال من الاستقراء الساذج الفج إلى الاستقراء العلمي؛ ولكنه لا يقضي على الأوَّل جملة. لأنَّ الاستقراء -كما يقول جوبلو- ليس منهجًا علميًّا فقط؛ بل هو أسلوب فطري من أساليب المعرفة الساذجة. وفي الواقع يعتمد سلوكنا، مهما قَلَّ فيه نصيب التفكير على الاستقراء. فالمرء يسير بخطى أكيدة على الأرض متماسكة الأجزاء؛ لأنه يثق أنها لن تنهار تحت قدميه، وإذا أدرك شاطئ النهر لم يحاول السير فوق الماء؛ لأنه يعلم أنَّ الماء لن يحمله وكذلك الأمر فيما يتعلق بسلوكه مع أقرانه؛ إذ تصبح الحياة الاجتماعية مستحيلة إذا عجز عن التكهن بسلوك أفراد مجتمعه، وعن التكيف بالبيئة

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٣.

التي يعيش فيها»(١).

وإنكار هيوم أثر الأسباب، له آثار خطيرة على البشرية، كما بين ذلك الكثير من الكُتَّاب والمفكرين، ومن ذلك قول الدكتور/ محمود مزروعة: «وهذا المبدأ له أثر كبير في تقدم العلوم من جانب، ومن جانب آخر لهما الأثر الواضح في انتظام حياة الناس على أسس ثابتة وواضحة من العلل ومعلولاتها، والأسباب ومسبباتها، حتى لا يخبط الناس في شؤون حياتهم خبط عشواء، يفعلون الشيء ولا يعرفون ما يترتب عليه، أو ما ينتج عنه، بل يعيشون على هدى سُنن ثابتة وضعها الله سبحانه، وأقام عليها الوجود كي يقيم الناس حياتهم على هدى منه، والفضل كله لله ﷻ من قبل وبعد»(٢).

ويقول الكاتب محسن المحمدي: «لقد اعتقد معظم الفلاسفة والعلماء، أنَّ مبدأ السببية يحمل سمة الضرورة، وأنَّ عدم افتراض هذه الضرورة سيجعل صياغة قوانين الطبيعة أمرًا غير ممكن، ومن ثَمَّ ستهتز أركان العلم»(٣).

ويقول محمد باقر الصدر: «إذا سقط مبدأ العلية انهارت جميع العلوم

(١) المنطق الحديث ومناهج البحث، ص٥٣-٥٤.

(٢) المنطق القديم عرض ونقد، ص٣١٤، وانظر: المنطق الحديث ومناهج البحث، ص٦٣.

(٣) انظر: مقال له بعنوان «حين خطأ هيوم التصور السائد حول السببية التي تقوم على الضرورة»، صحيفة الشرق الأوسط، نشر: ٢٣: ٤٦-٢٤ فبراير ٢٠١٦م - ١٦ جمادي الأوَّل ١٤٣٧هـ.

الطبيعية»(١).

ويقول د/ أحمد فؤاد الأهواني: «ويعد بحث هيوم في السببية من أهم البحوث وأعظمها خطرًا في تاريخ الفلسفة؛ لأنه يريد أن يهدم ما اصطلح عليه الناس أجيالًا متعاقبة، وأن يزعزع قواعد الحضارة التي تستند إلى اعتقاد الناس في خروج المسببات عن الأسباب»(٢).

وأيضًا هذا الاعتقاد من هيوم يسبب الشكوك والاضطراب، وعدم أخذ الاحتياطات، ومن ثَمَّ الهلاك والعطب.

وقد وجه كَنت نقدًا لمبدأ هيوم هذا، فقال: «إنَّ هذا الرجل هيوم المتبصر لم يباشر إلَّا الفائدة السلبية التي تعود علينا إذا ما اعتدل العقل النظري في مزاعمه بدلًا من المبالغة فيها، حتى يضع حًّدا للعديد من الخصومات اللامتناهية المزعجة التي تعكر صفو الجنس البشري، غير أنه لم يدرك الخسارة الفعلية التي تلحق بنا إذا حرمنا العقل من أهم رؤاه التي بواسطتها وحدها يستطيع أن يثبت للإرادة الإنسانية غاية سامية لكل جهودها»(٣).

ويقول د/ محمود قاسم: «وكان كَنت يرى أنَّ الاستقراء الذي يقوم على أساس مبدأ السببية العام؛ أي: المبدأ القائل بأنَّ كل شيء يحدث في

(١) فلسفتنا، ص١٢٣.

(٢) في عالم الفلسفة، ص١٣٥-١٣٦.

(٣) انظر: الموسوعة الفلسفية العربية، ١/ ٦٧٧ "الريبية".

الطبيعة إنما يحدث لسبب، وأنَّ نفس السبب يؤدي دائمًا إلى نفس النتيجة: هذا المبدأ كما يقول كَنت شرط أوَّلي ضروري لصحة تفكيرنا»(١)، وهذه الحتمية في حالة ما إذا اجتمعت الأسباب وانتفت الموانع.

وفي «الموسوعة الفلسفية العربية»: «وهكذا تكفر الريبية بمختلف أشكال الضرورة وتنفي كل الحتميات لترمي بالعالم في بريق المظهر ومتاهات العرضية واللاأدرية الصرفة، فكأنما نحن تجاه دمار كوني يهز العالم والمعرفة معًا ويدكهما، فلا نسمع إلَّا قهقهة الشعور الساخن المنتصر»(٢).

بل لموقف هيوم أثر سلبي حتى على الأخلاق والدِّين، يقول برتراند رسل(٣): «يؤدي موقف الشك إلى تغيير جذري في ميداني الأخلاق والدِّين؛ ذلك لأننا ما إن نثبت عدم قدرتنا على معرفة الارتباطات الضرورية، حتى تتهاوى قوة الأوامر الأخلاقية بدورها؛ وذلك على الأقل إذا كان من المرغوب فيه تبرير المبادئ الأخلاقية بحجج عقلية. فهنا يصبح أساس الأخلاق مماثلًا في ضعفه للسببية ذاتها عند هيوم. ولكن هيوم نفسه يعترف بأنَّ هذا سيجعلنا من الوجهة العملية أحرارًا في اتخاذ أي رأي نشاء، حتى لو لم يكن في وسعنا تبريره»(٤).

(١) المنطق الحديث، ص٥٩.

(٢) ٦٧٦/١ عند عنوان "الريبية".

(٣) رسل، برتراند أرثر وليم، (١٨٧٢م) فيلسوف إنجليزي، وهو المثل البارز للتجريبية البريطانية في القرن العشرين. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٢١٠.

(٤) حكمة الغرب، ص٩٧.



المبحث الخامس:

شبهات هيوم في إنكاره للطبائع والقوى، عرض ونقد

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأوَّل: الشبهة الأولى

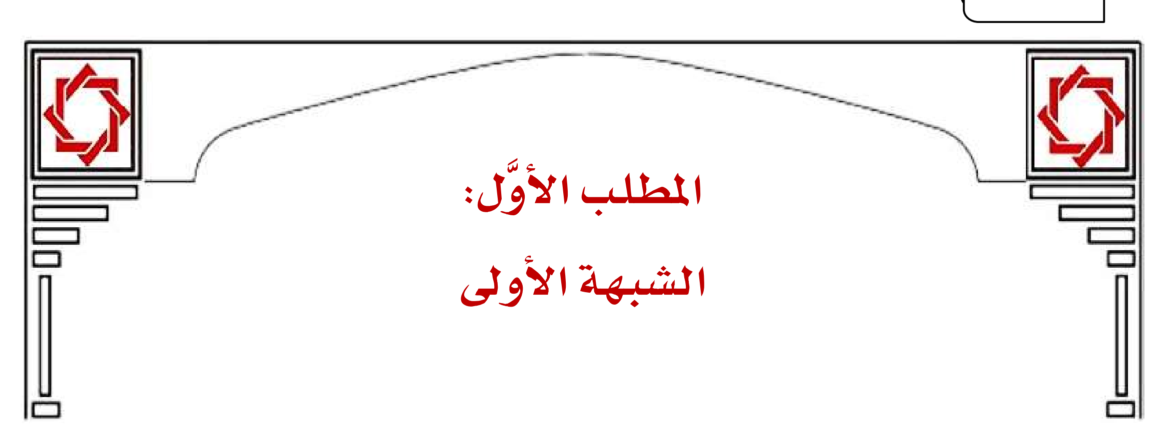
المطلب الثاني: الشبهة الثانية

المطلب الثالث: الشبهة الثالثة

المطلب الرَّابع: الشبهة الرَّابعة

المطلب الخامس: الشبهة الخامسة





المطلب الأوَّل:
الشبهة الأولى

وهو السبب الرئيس في هذا الإنكار؛ وهو منهج هيوم المعرفي الذي ينكر أي معرفة من أي طريق غير طريق الحس والتجربة.

يقول هيوم: «لقد أسسنا كمبدأ أنَّ كل الأفكار مستمدة من انطباعات أو مدركات حسية سابقة ما، ومن المستحيل أن يكون لدينا أي فكرة عن القوة والفعالية ما لم يكن بالإمكان إيجاد بعض الأمثلة التي نرى فيها هذه تمارس ذاتها»(١).

فإنكار هيوم ما وراء الحس والتجربة، هو أهم سبب في إنكاره أثر الأسباب في النتائج والمسببات، فهو يجد الارتباط الدائم بين الأسباب ومسبباتها لكنه لا يرى بالتجربة ذلك الارتباط الخفي، فينكر وجوده، يقول: «هيهات لحواسنا أن تكشف عن القوة الخفية التي تدير هذه الآلة الكبرى من وراء ستار؛ فالصفات الظاهرة للأشياء والتي ندركها بالحواس، ليست بذاتها تدل على قوة وراءها ... وهكذا يستحيل على الانسان أن يستنتج

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٧٧.

شيئًا عن فكرة القوة من مجرد تأمله للظاهر كما تقع له في الحس؛ لأنَّ ظواهر الأجسام لا تشف أبدًا عن قوة وراءها، بحيث تكون هي الأصل الذي استقينا منه فكرتنا عن القوة»(١).

ويقول: «إذ بما أنهم يعترفون أنَّ هذه الطاقة لا تكمن في أي صفة من الصفات المعروفة للمادة، فإنَّ الصعوبة ستظل قائمة فيما يتعلق بأصل فكرتها»(٢).

وبما أنَّ مبدأ السببية الكلي مصدره العقل، يقول هيوم: «العقل لا يستطيع أن يبين لنا أبدًا الرابطة بين شيء وشيء آخر، رغم أنَّ التجربة قد تساعده، وكذلك مشاهدة ترابطها الدائم في كل الحالات الماضية»(٣).

ويقول: «الحق أنه ليس ثمة أي جزء من المادة يكشف بخصائصه الحسية عن قدرة أو طاقة، أو يعطينا أساسًا لنتخيل أنه بإمكانه إحداث شيء، أو أنَّ شيئًا آخر سيتلوه وسيمكننا أن نسميه أثره ... القدرة أو القوة التي تحرك الآلة بأسرها مخفية عنا تمامًا ولا تكشف عن نفسها في أي خاصية من خاصيات الجسم الحسية»(٤).

وكون إثبات أثر السبب في النتيجة، أو رابطة السبب والنتيجة وراء الانطباع المباشر للحواس يجعله هيوم مجرد احتمال ولا يقر به، يقول:

(١) انظر: ديفد هيوم، ص٧١.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٧٨-١٧٩.

(٣) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١١٣.

(٤) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٥.

«الرابطة الوحيدة أو العلاقة بين الأشياء التي يمكن أن تقودنا إلى ما وراء الانطباعات المباشرة لذاكرتنا وحواسنا إنما هي رابطة السبب والنتيجة ... فإنَّ الاحتمال يقوم على افتراض التشابه بين هذه الأشياء التي لدينا تجربة عنها وتلك التي ليس لدينا تلك التجربة؛ لذلك من المستحيل أن يكون بإمكان هذا الافتراض أن ينشأ من الاحتمال»(١).

فهو يجعل الارتباط الدائم المعلوم بالتجارب والضرورة مجرد احتمال، ويجعل هذا الارتباط مجرد انطباع، فيقول: «جميع أفكارنا ليست سوى نسخ عن انطباعاتنا وتمثلها بكل أجزائها»(٢)، ويقول: «مبدئي هو أنَّ كل أفكارنا مستمدة من انطباعات مرافقة»(٣).

وكون أفكارنا - التي هي العقل طبعًا - ليست إلَّا نتيجة لانطباعات حسية، يعني أنَّ العقل منفعل لا فاعل، وليس دليلًا لمعرفة شيء؛ وإنما العقل مجرد المسرح الذي تتعاقب عليه الإدراكات.

نقد الشبهة الأولى: نرد على هيوم في إنكاره ما وراء الحس من عدة أوجه:

الوجه الأوَّل: أخطأ هيوم في إنكاره أي طريق للمعرفة غير الحس؛ لأنَّ هذا يعني أنه سينكر كل الغيبيات، والعقليات، والفطر، والأوائل

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١١٧.

(٢) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٣، رسالة في الطبيعة البشرية، ص١١٠-١١١.

(٣) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١١٠-١١١، ديفد هيوم، ص٦٩.

والبدهيات، وسيكون سوفسطائيًّا ريبيًّا شكاكًا لا أدريًّا، ذا مذهب مدمر ومعيق للتقدم، وذا مرتكزات هشة، كما هو واقعه.

لذلك حين ذكر هيوم أنَّ ديكارت وصل انطلاقًا من مبدأ الأفكار الفطرية، إلى وجود الإله. أنكر ذلك وكل ما وراء الحس، أو أي قطعية في أي شيء، وإذا أمكنت المعرفة التي هي شبه استحالة بالنسبة له فلا تمكن إلَّا بالتجربة العيانية الواضحة(١).

ولذلك قال هيوم رادًّا على الديكارتيين: «لكن مبدأ الأفكار الفطرية تبين أنه زائف، يتبع ذلك أنَّ افتراض وجود إله لا يمكن أن يخدمنا في شيء لتعليل فكرة الوكالة التي نبحث عنها سدًى في كل الأشياء التي تمثل لحواسنا أو التي نعيها في أذهاننا وبصورة جوانية. ذلك أنه إذا كانت كل فكرة مستمدة من انطباع، فإنَّ فكرة الإله تنبثق من الأصل نفسه، وإذا لم يكن هناك انطباع، سواء كان حسيًّا أم تأمليًّا، يتضمن أي قوة فاعلية، فإنَّ من المستحيل أيضًا أن نكتشف أو حتى نتصور مبدأ فاعلًا كهذا في الإله»(٢).

وأنكر علاقة النفس بالجسد، يقول: «هل يوجد في الطبيعة مبدأ أكثر غموضًا من اتحاد النفس بالبدن اتحادًا يسمح لجوهر روحي مفترض أن يكون لديه مثل هذا التأثير على جوهر مادي»(٣).

(١) انظر: الشك عند دافيد هيوم، ص٤٢.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٧٨.

(٣) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٧، انظر: ديفد هيوم، ص٧٢.

ويقول: «فعالية الأسباب أو طاقتها لا تتموضع في الأسباب ذاتها ولا في الألوهية ولا في تلاقي هذين المبدأين، بل تمت كليًّا للنفس التي تفكر باتحاد شيئين أو أكثر في كل الحالات الماضية، وهنا تتموضع القوة الحقيقية للأسباب، جنبًا إلى جنب مع ترابطها بالضرورة»(١).

ولا شك أنَّ إنكار ما وراء الحس مذهب سوفسطائي يظهر ذلك ببداهة العقول والفطر؛ لأنَّ الجانب المعرفي الذي يدركه الإنسان من طريق حواسه محدود ولا يشتمل على جميع الكيفيات المحسوسة لفهم الأشياء ما يعني أنه غير قادر على تمكينه من إدراك المعرفة التامة التي يتعطش لبلوغها ورفع نقاب الجهل عنها(٢).

بل إنَّ المحسوسات والمشاهدات بالنسبة للغيبيات والعقليات كقطرة في بحر عظيم، وسيأتي مزيد رد على هذه الشبهة - بإذن الله تعالى -.

الوجه الثاني: أنَّ الضرورات الكلية والأوائل ليس مصدرها الحس، بل العقل، حتى إنَّ التجربة والاطراد بين السبب والمسبب ليسا هما الدليل على ضرورة مبدأ السببية؛ لأنَّ الخبرة الحسية والتجربة إنما تدل على وقوع التتابع بين الأسباب والمسببات، والوقوع إنما يدل على الإمكان ما لم يستند إلى ضرورة عقلية، وهي مبدأ السببية. ذلك أنَّ التجربة ليست من العلوم البدهية الضرورية؛ لذلك فهيوم أنكر خاصة العقل، يقول ابن تيمية: «خاصة العقل

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٨٣.

(٢) انظر: السببية الناقصة، ص١٣٨- ١٣٩.

معرفة الكليات بتوسط معرفة الجزئيات»(١).

وعلى هذا اتفق العقلاء من كل أُمَّة - مع تنوع مذاهبهم وأديانهم ومشاربهم - على ذلك إلَّا من سفسط وكابر، وهاك بعض أقوالهم في هذه المسألة:

أوَّلًا: كلام علماء الإسلام في ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كذلك المجربات، فعامة الناس قد جربوا أنَّ شرب الماء يحصل معه الري، وأنَّ قطع العنق يحصل معه الموت، وأنَّ الضرب الشديد يوجب الألم، والعلم بهذه القضية تجريبي، فإنَّ الحس إنما يدرك ريًّا معينًا، وموت شخص معين. أمَّا كون كل مَن فعل به ذلك يحصل له مثل ذلك، فهذه القضية الكلية لا تعلم بالحس، بل بما يتركب من الحس والعقل»(٢).

وقال: «الحس به تعرف الأمور المعينة، ثم إذا تكررت مرة بعد مرة أدرك العقل أنَّ هذا السبب القدر المشترك الكلي، فقضى قضاء كليًّا، وأنَّ هذا يورث اللذة الفلانية، وهذا يورث الألم الفلاني»(٣).

ويقول الغزالي: «العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل؛ إذ يحكم الإنسان بأنَّ الشخص الواحد لا يتصور أن يكون في مكانين في حالة

---

(١) الرد على المنطقيين، ص٣٦٨.

(٢) الرد على المنطقيين، ص٩٢-٩٣.

(٣) الرد على المنطقيين، ص٣٨٦.

واحدة، وهذا حكم منه على كل شخص، ومعلوم أنه لم يدرك بالحس إلَّا بعض الأشخاص، فحكمه على جميع الأشخاص زائد على ما أدركه الحس»(١).

وقال: «وهذا كسائر ما يعلم من الكليات العادية؛ إذا قيل: هذا الدواء مسهل للصفراء، ومنضج للخلط الفلاني، ونحو ذلك، فإنَّ التجربة إنما دلت على أشياء معينة، لم تدل على أمر عام؛ لكن العقل يعلم أنَّ المناط هو القدر المشترك»(٢).

ثانيًا: كلام فلاسفة الشرق والغرب.

يقول محمد باقر الصدر(٣): «وعلاقة السببية - بمفهومها العقلي، بوصفها علاقة ضرورة بين (أ) و(ب) - من القضايا التي لا تمتد الخبرة الحسية إليها؛ لأنَّ الخبرة الحسية بإمكانها أم تدرك (أ) و(ب) واقتران أحدهما بالآخر، وأمَّا علاقة الضرورة بينهما فليس بإمكان الخبرة الحسية أن تدركها»(٤).

ويقول: «إنَّ مبدأ العلية لا يمكن إثباته والتدليل عليه بالحس؛ لأنَّ

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ٨.

(٢) الرد على المنطقيين، ص٣٦٧.

(٣) محمد باقر الصدر (١٣٥٣هـ الموافق: ١٩٣٥م — ١٤٠٠هـ الموافق: ١٩٨٠م) مرجع ديني شيعي ومفكر وفيلسوف عراقي، يعد أبرز مؤسسي حزب الدعوة ومنظري أفكاره. مؤلف لمجموعة كتب تعد الأبرز في الفكر السياسي الشيعي.

(٤) الأسس المنطقية للاستقراء، ص٣٨٢.

الحس لا يكتسب صفة موضوعية إلَّا على ضوء هذا المبدأ»(١).

فكيف يكون المبدأ مستندًا إلى الحس؟ ويقول كَنت: «الحكم المتصور أنه ذو كلية دقيقة، أي بحيث أنه لا يقر بإمكان ورود أي استثناء عليه؛ لا يشتق من التجربة»(٢).

كما أكد في رده على هيوم في هذه القضية أنَّ الحكم الكلي بأنَّ كل حادث لا بد أن يكون له سبب ليس حكمًا تجريبيًّا، بل هو مقتضى الضرورة العقلية(٣).

ويقول لايبنتس(٤): «إنَّ الحواس وإن كانت ضرورية لكل معارفنا الحاضرة، إلَّا أنها ليست كافية لتزويدنا بكل المعارف؛ لأنَّ الحواس لا تعطي أبدًا إلَّا أمثلة، أي حقائق جزئية أو فردية، لكن كل الأمثلة التي تؤيد حقيقة عامة، مهما كان عدد هذه الأمثلة، فإنها لا تكفي لتقرير الضرورة الكلية لهذه الحقيقة نفسها؛ لأنه ليس من الضروري أن يحدث دائمًا ما حدث مرة أو مرات»(٥).

(١) فلسفتنا، ص٣٥٦.
(٢) انظر: إمانويل كَنت، عبد الرحمن بدوي، ص١٧٦.
(٣) انظر: إمانويل كنت، عبد الرحمن بدوي، ص١٨١.
(٤) ليبنتز، جوتفريد فلهلم (١٦٤٦-١٧١٦م) فيلسوف ألماني، كان رياضيًّا وفيلسوفًا، اكتشف مع نيوتن حساب الفوارق. انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٣٧٤، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، ص١١٦٠.
(٥) نقله عبد الرحمن بدوي مدخل جديد إلى الفلسفة، ص١٦٤-١٦٥.

الوجه الثالث: ومما يبين بطلان مذهب هيوم هذا تناقضه؛ فإنه لم يستطع أن ينكر مبدأ العلية إلَّا على ضوء مبدأ العلية. فقوله والتجريبيون معه: إنَّ التجربة هي المقياس الحقيقي لتميز الحقيقة، مبدأ عقلي، ويستحيل أن يكونوا تحصلوا عليه من التجربة؛ لأنَّ التجربة لا تؤكد قيمة نفسها[(١)].

ويظهر التناقض أيضًا، في كونه يقر في بعض كلامه بوجود القوة أو القدرة في علاقة السبب والمسبب ثم ينكرها، فيقول: «القدرة أو القوة التي تحرك الآلة بأسرها مخفية عنا تمامًا، ولا تكشف عن نفسها في أي خاصية من خاصيات الجسم الحسية»[(٢)].

يلاحظ أنه يثبت القدرة أو القوة إلَّا أنها مخفية، فكان الواجب أن يقول: هي موجودة لكنها خفية، إلَّا أنَّ هيوم أنكرها تمامًا فتناقض وكابر.

ويظهر تناقض هيوم في كونه لا يعمل بموجب مبدئه فهو يخالفه عمليًّا، ويعمل بالأسباب في أموره اليومية، فهذا نقض لمذهبه وإن تهرب بتفسير ذلك بتفاسير غير مقبولة[(٣)]؛ لذلك يقول د/ محمد ناصر: «وبعد كل ما تقدم، يظهر جليًّا كيف أنَّ هيوم قام بالتظاهر برفض ما يعمله ويطبقه، بل ما لا يمكنه أن يكتب حرفًا واحدًا، سؤالًا كان أو حكماء إلَّا انطلاقًا من البناء عليه ضمنًا، إلَّا أنه كان محقًّا في شيء واحد، وهو حينما

(١) انظر: فلسفتنا، ص١١٨.

(٢) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٥.

(٣) انظر: حكمة الغرب، ص٩٦.

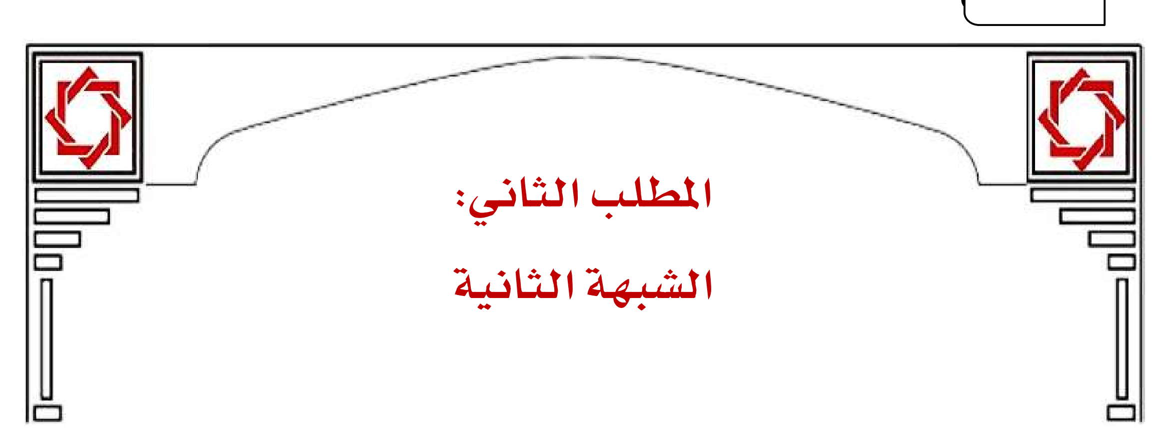
قال عن نفسه: «إذا كنت مخطئًا فيما قلت [وهذا ما ثبت بما لا شك فيه] فعليَّ أن أعترف بأني حقًّا طالب متخلف جدًّا، بحيث إنني لم أستطع اكتشاف دليل كان فيما يبدو مألوفًا عندي بشكل كامل، ومنذ وقت طويل، حتى قبل أن أغادر المهد»(١).

إلَّا أنَّ الحقيقة هي: أنَّ هيوم قد احترف أسلوب التمسكن هذا مضفيًا على كلامه مسحة تعاطف ولطف خادع؛ موحيًا للقارئ بجديته وصدقه والحال أنه مجرد سفسطائي بارع كما وصفته: (GE. M. Anscombe)(٢).



(١) ولكن هيوم لم يكن يعرف حينما كتب هذا الكلام أنَّ أجيالًا من الطلبة أمثاله سوف يأتون بعده ويحتفون به.

(٢) نقد الملحدين لقانون العلية، ص٢٧٨.



المطلب الثاني:
الشبهة الثانية

يرى هيوم أنَّ مبدأ السببية ليس مؤيدًا بالبرهان، يقول: «ليس باستطاعتنا أبدًا أن نبرهن على ضرورة السبب لكل وجود جديد، أو تعديل جديد دون أن نبين في الوقت ذاته الاستحالة القائمة في إمكانية أن يبدأ أي شيء دون مبدأ منتج ما. وبما أنَّ الاقتراح الأخير لا يمكن البرهنة عليه، فعلينا أن نيأس من قدرتنا على البرهنة على الأول»(١).

نقد الشبهة الثانية: وهو أن يقال: ضرورة السبب وأوليته وفطريته هو البرهان، لا يطلب له برهان، فإنَّ المبادئ العقلية الضرورية الفطرية غير محتاجة إلى برهان، إذ هي بنفسها تثبت صدق ذاتها، ولا يمكن الاستدلال لها؛ لأنها أساس الاستدلال، فيستدل بها لا لها، كما أنه لا يمكن تصور ما يناقضها؛ لأنَّ العقل بفطرته لا يقبل الشك فيها، وإذا احتاجت إلى دليل لزم التسلسل الممتنع وامتنع الوصول إلى معرفة. وهذه المبادئ قبلية غير مكتسبة فللطفل مثلًا قوة فطرية بها يتوجه إلى ثدي أمه، من غير نظر ولا

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص٩٩.

تجربة واستدلال، وهكذا هو مبدأ السببية.

يقول ابن تيمية: «البرهان الذي ينال بالنظر فيه العلم لا بد أن ينتهي إلى مقدمات ضرورية فطرية، فإنَّ كل علم ليس بضروري لا بد أن ينتهي إلى علم ضروري؛ إذ المقدمات النظرية لو أثبتت بمقدمات نظرية دائمًا لزم الدور القبلي، أو التسلسل في المؤثرات في محل له ابتداء، وكلاهما باطل بالضرورة واتفاق العقلاء من وجوه. فإنَّ العلم النظري الكسبي هو ما يحصل بالنظر في مقدمات معلومة بدون النظر؛ إذ لو كانت تلك المقدمات أيضًا نظرية لتوقفت على غيرها، فيلزم تسلسل العلوم النظرية في الإنسان، والإنسان حادث كائن بعد أن لم يكن، والعلم الحاصل في قلبه حادث، فلو لم يحصل في قلبه علم إلَّا بعد علم قبله، للزم ألَّا يحصل في قلبه علم ابتداء، فلا بد من علوم بديهية أولية يبتدؤها الله في قلبه، وغاية البرهان أن ينتهي إليها»(١).

ويقول: «والشبهات القادحة في تلك العلوم لا يمكن الجواب عنها بالبرهان؛ لأنَّ غاية البرهان أن ينتهي إليها، فإذا وقع الشك فيها انقطع طريق النظر والبحث»(٢).

وقال أبو حامد الغزالي: «إنَّ العلوم الجلية الأولية هي أصول العلوم الغامضة الخفية، وهي بذورها، ولكن يستثمرها منها مَن يحسن الاستثمار

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/٣٠٩.
(٢) درء تعارض العقل والنقل ٣/٣٠٨.

بالحراثة والاستنتاج بإيقاع الازدواج بينهما»[١].

ويقول ابن حزم: «ما كان مدركًا بأوَّل العقل أو الحواس فليس عليه استدلال أصلًا، بل من قبل هذه الجهات يبتدئ كل أحد بالاستدلال، وبالرد إلى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل»[٢].

وبه يعرف سفسطة هيوم في قوله: لا يوجد دليل على استحالة أن يوجد شيء بدون سبب.

لذلك جاء في «الموسوعة الفلسفية العربية» ردًّا على هيوم والريبيين عمومًا: «وفعلًا فعند ما يطالب الريبي الوثوقي[٣] بأن يبرهن على برهانه؛ فإنما ذلك ليحمله على الاعتراف بأنَّ الأرضية التي يستند إليها رخوة لا تصلح أن تكون أساسًا لبناء المعرفة، وأنَّ الأدلة وحدها -كانت طبيعتها ما كانت- لا تكره بذاتها على التسليم بشيء؛ إذ إنَّ كل دليل يحتاج بدوره إلى دليل آخر يضرب بجذوره في نهاية الأمر في حقيقة لا دليل عليها، وبالتالي وجب الاعتراف بأنَّ قبول حقيقة ما تصديق ذاتي لا يستمد شرعيته إلَّا من الأنا ذاته، بما هو أرضية قبول الأحكام أو رفضها. فإنَّ الأنا يقبل أو يرفض كما يريد»[٤].

---

(١) القسطاس المستقيم، ص ٢٦.

(٢) الفصل ١٠٩/٥.

(٣) الوثوقي ضد الشاك، وهو: صاحب اليقين.

(٤)١/٦٧٦ عند عنوان "الريبية".



المطلب الثالث:

الشبهة الثالثة

وهي من قول هيوم: «فصل السبب عن فكرة بدء وجود ما، ممكن بسهولة بالنسبة للخيال، وبالتالي فإنَّ الفصل العملي لهذه الأشياء ممكن إلى حد بعيد»(١).

ومعنى كلامه أنه ما دام أنه يمكن للذهن أن يفرض وجود شيء بدون سبب إذًا لا ضرورة عملية لسبب. يقول هيوم: «طبقًا لذلك، سوف نجد لدى التفحص، أنَّ كل برهان تم إيجاده من أجل ضرورة السبب هو ضرب من المغالطة والسفسطة»(٢).

نقد الشبهة الثالثة: هو أن يقال: سبب الغلط عند هيوم هو السبب في أغلاط كثير من الفلاسفة وغيرهم، بل هو من كبريات مثارات الأغلاط عند الفلاسفة من القدم وعند المتكلمين، وهو التباس ما في الذهن بما في الخارج؛ ومعلوم أنَّ ما يتصوره الخيال يختلف عما يوجد في الخارج. فالذهن قد يفرض أمورًا يستحيل وجودها خارج الذهن، فلا يلتبس ما في الخارج بما

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٠٠.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٠٠.

في الذهن.

لذلك يقول د/ محمد ناصر: «وبالجملة، لقد رأينا أنَّ جوهر مشروع هيوم يقوم على الخلط بين الأحكام الوهمية والأولية، وقد اتخذ من مصدر الأحكام الوهمية وهو الخيال منطلقًا لتأسيس مشروعه؛ ولذلك يمكن عده مؤسسًا للفلسفة الوهمية في العصر الحديث، والتي قد بسطت سيطرتها في أغلب المراكز الأكاديمية، التي جاءت لمضادة الفلسفة البرهانية»(١).

واستدلال هيوم بكون تصور ماله بداية لا يتضمن تصور أنَّ له علة، على نفي ضرورة السببية مغالطة؛ لأنَّ مفهوم الحادث وإن لم يتضمن مفهوم السببية إلَّا أنه يستلزمه ضرورة، بحيث لا يمكن في العقل تصور ما له بداية دون تصور أن يكون له سبب(٢).



(١) نقد الملحدين لقانون العلية، ص٢٧٨-٢٧٩.

(٢) المعرفة في الإسلام، ص٤٢٤-٤٢٥.



المطلب الرَّابع:
الشبهة الرَّابعة

يرى هيوم أنَّ تخلف النتيجة عن السبب أحيانًا يدل على عدم يقينية أثر السبب، يقول: «بما أنه يحدث غالبًا أن تكون إحدى المشاهدات مناقضة للأخرى، وأنَّ الأسباب والنتائج لا تتبع بعضها بنفس الترتيب الذي خبرناه من قبل، فإننا مضطرون لأن نغير تفكيرنا طبقًا لعدم اليقينية هذه، ونأخذ بالاعتبار تناقض الأحداث»(١).

نقد الشبهة الرَّابعة: وهو أن يقال: كما سبق أنَّ السبب قد يتخلف أثره من نتيجة إلى نتيجة بسبب تغير الأسباب المقارنة، أو وجود موانع وقوع أثره كما وقع في تجارب سابقة. وأمَّا اجتماع نفس الأسباب وانتفاء الموانع فإنها تثمر نفس النتائج.

يقول ابن تيمية: «الأسباب المخلوقة كالنار في الإحراق، والشمس في الإشراق، والطعام والشراب في الإشباع والإرواء ونحو ذلك، فجميع هذه الأمور سبب لا يكون الحادث به وحده، بل لا بد من أن ينضم إليه سبب آخر، ومع هذا فلهما موانع تمنعهما عن الأثر، فكل سبب فهو موقوف

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٥٠.

على وجود الشروط وانتفاء الموانع، وليس في المخلوقات واحد يصدر عنه وحده شيء»(١).

وقال: «والأسباب ليست مستقلة بالمسببات، بل لا بد لها من أسباب أخرى تعاونها، ولها - مع ذلك - أضداد تمانعها، والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه، ويدفع عنه أضداده المعارضة له، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشئته وقدرته، كما يخلق سائر المخلوقات»(٢).

يقول الشاطبي: «وأمَّا إذا لم تفعل الأسباب على ما ينبغي ولا استكملت شرائطها ولم تنتفِ موانعها فلا تقع مسبباتها شاء المكلف أو أبى؛ لأنَّ المسببات ليس وقوعها أو عدم وقوعها لاختياره. وأيضًا فإنَّ الشارع لم يجعلها أسبابًا مقتضية لمسبباتها إلَّا مع وجود شرائطها وانتفاء موانعها، فإذا لم تتوفر لم يستكمل السبب أن يكون سببًا شرعيًّا سواء علينا أقلنا: إنَّ الشروط وانتفاء الموانع أجزاء أسباب أم لا، فالثمرة واحدة»(٣).

وقال ابن تيمية: «فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وليس شيء من الأسباب مستقلًّا بمطلوبه بل لا بد من انضمام أسباب أخرى إليه، ولا بد أيضًا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل المقصود، فالمطر وحده لا ينبت النبات إلَّا بما ينضم إليه من

(١) مجموع الفتاوى ٨/١٣٣.
(٢) مجموع الفتاوى ٨/٤٨٧.
(٣) الموافقات، ١/٢١٨.

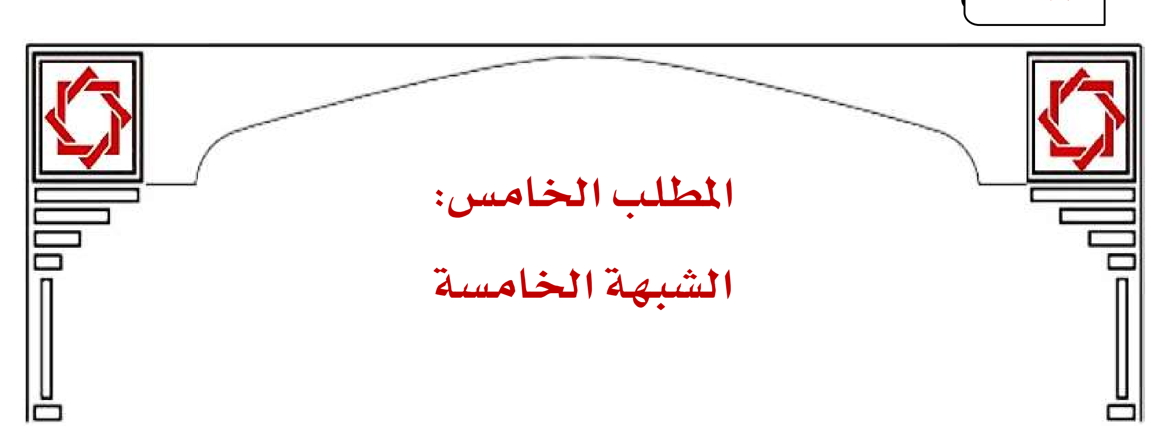
الهواء والتراب وغير ذلك. ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له. والطعام والشراب لا يغذي إلَّا بما جعل الله في البدن من الأعضاء والقوى»(١).

وقد أجاب هيوم نفسه في بعض كلامه، فقال: «تناقض النتائج يدل دائمًا على تناقض الأسباب وينتج عن إعاقة بعضها لبعض وتعارض بعضها مع بعض»(٢).



(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٦٩ – ٧٠.

(٢) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٥١.



المطلب الخامس:

الشبهة الخامسة

إنَّ أثر السبب في المسبب أو في النتيجة – القوة الخفية للأسباب – مجهول لنا، يقول هيوم: «إنَّ النجاح الضئيل الذي لقيناه في كل محاولاتنا لإثبات هذه القوة [أي: القوة الخفية للأسباب] أجبرت أخيرًا كل الفلاسفة على أن يستنتجوا أنَّ القوة والفاعلية النهائية للطبيعة مجهولة تمامًا بالنسبة لنا»(١).

ويقول: «القدرة أو الطاقة التي تحدث الحركة تبقى مجهولة وغير مفهومة ... نحن نحس فقط بالحادث، أعني بوجود فكرة ناتجة عن أمر الإرادة؛ لكن الطريقة التي ينجز بها هذا العمل، والقدرة التي تحدثها هي بالكامل خارج متناول فهمنا»(٢).

ويقول: «ليس لدينا فكرة أخرى عن السبب والنتيجة سوى أننا وجدنا أشياء تترابط معًا دائمًا كما وجدنا في كل الحالات السابقة أنها غير

(١) رسالة في الطبيعة البشرية، ص١٧٧.

(٢) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٩-١٠٠.

قابلة للفصل؛ لكن ليس بوسعنا التغلغل إلى سبب الترابط»(١).

ويقول: «هيهات لحواسنا أن تكشف عن القوة الخفية التي تدير هذه الآلة الكبرى من وراء ستار ... إننا نعلم من واقع الحال أنَّ الحرارة دائمًا تصاحب لهب النار، لكن ليس في وسع الخيال البشري أن يقرر ماذا تكون الرابطة بين الحرارة واللهب»(٢).

إذًا؛ جهل هيوم بأثر الأسباب جعله ينفي وجوده ووجود القوى والطبائع، بل جعل هذا الأثر من أكثر الأشياء غموضًا، يقول: «ليس في الأفكار المعروضة في الميتافيزيقا فكرة أكثر غموضًا ولبسا من أفكار القدرة، والقوة، والطاقة، والاقتران الضروري التي علينا أن نتعامل معها في كل لحظة في جميع بحوثنا»(٣).

ويقول: «وإني لأعترف أنني عاجز عن إدراك طبيعة هذه الحلقة الوسطى [وهي القوة التي في السبب]، وعلى أولئك الذين يقررون وجودها ويقررون أنها المصدر الذي نصدر عنه في شتى أحكامنا على أمور الواقع، أن يظهروها لنا»(٤).

نقد الشبهة الخامسة: وهو أن يقال: كلام هيوم هذا من أضعف الاستدلالات وأوهاها، مع أنها سبب في غلط كثير من الفلاسفة؛ لأنَّ غايته

(١) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٥، ١٠٨، ديفد هيوم، ص٧١.

(٢) انظر: ديفد هيوم، ص٧١.

(٣) مبحث في الفاهمة البشرية، ص٩٣، ١٠٩.

(٤) انظر: ديفد هيوم، زكي نجيب محمود، ص٦٠.

أنه لا يعلم بأثر السبب في النتائج، وأنه يجهل القوة الخبيئة في طبائع الأشياء(١)، فيرد عليه بالقاعدة العظيمة: أنَّ عدم علمه بذلك ليس علمًا بالعدم.

قال ابن تيمية: «عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، فهم إذا لم يعلموا ذلك لم يكن هذا علمًا منهم بعدم ذلك، ولا بعدم علم غيرهم به. بل هم كما قال الله ﷻ: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [سورة يونس:٣٩]، وتكذيب من كذَّب بالجن هو من هذا الباب، وإلَّا فليس عند المتطبب والمتفلسف دليل عقلي بنفي وجودهم؛ لكن غايته أنه ليس في صناعته ما يدل على وجوده، وهذا إنما يفيد عدم العلم، لا العلم بالعدم، وقد اعترف بهذا حذَّاق الأطباء والفلاسفة كأبقراط وغيره»(٢).

ويقول ابن رشد: «إن كانت الأشياء التي لا تحس لها أسباب مجهولة بالطبع ومطلوبة، فما ليس بمجهول فأسبابه محسوسة ضرورة، وهذا من فعل من لا يفرق بين المعروف بنفسه والمجهول، فما أتى به في هذا الباب مغالطة سوفسطائية»(٣).

ويقول محمد باقر الصدر: «لا يسمح لنا برفض القضية والاعتقاد

(١) انظر: السابق، ص١١٥٩.
(٢) الرد على المنطقيين، ص١٠٠.
(٣) تهافت التهافت، ص٥٠٥.

بعدمها لمجرد أنَّ الخبرة والتجربة لم تثبت صدقها؛ لأنَّ المعرفة بالنفي كالمعرفة بالإثبات لا يمكن قبولها من وجهة نظر تجريبية ما لم تستند إلى الخبرة»(١).

فسبب كلام هيوم هو إنكاره طرق المعرفة الأخرى كما سبق، فإنكار العقليات والمتواترات والبدهيات وما مصدره الوحي والفطرة سيجعل الإنسان من أجهل الناس بأشاء كثيرة لا حصر لها؛ لذلك يقول ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وطرق العلم ثلاثة: الحس، والعقل، والمركب منهما كالخبر؛ فمن الأمور مالا يمكن علمه إلَّا بالخبر ... ولهذا كان أكمل الأمم علمًا المقرُّون بالطرق الحسية والعقلية والخبرية، فمن كذَّب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب به من تلك الطرق»(٢).

وها هو هيوم يفصح عن هذا الجهل العظيم، فيقول: «إننا نجهل الطريقة التي بها تفعل الأجسام بعضًا في بعض؛ فقوتها وطاقتها غير مفهومة على الإطلاق؛ إلَّا أننا نجهل كذلك الطريقة التي يعمل بها الذهن، وحتى الذهن الأسمى، سواء في نفسه أم في البدن. من أين إذًا رجاءً نستمد هذه الفكرة؟ ليس لدينا أي شعور ولا أي وعي عن هذه القدرة فينا، وليس لدينا أي فكرة عن الكائن الأسمى سوى تلك التي نتعلمها بالتفكر حول ملكاتنا الخاصة، وحين يكون جهلنا علة كافية لرفض أي شيء، فسنكون مساقين إلى مبدأ رفض كل قوة في الكائن الأسمى كما في أغلظ المادة، ونحن

(١) الأسس المنطقية للاستقراء، ص٣٨٣.

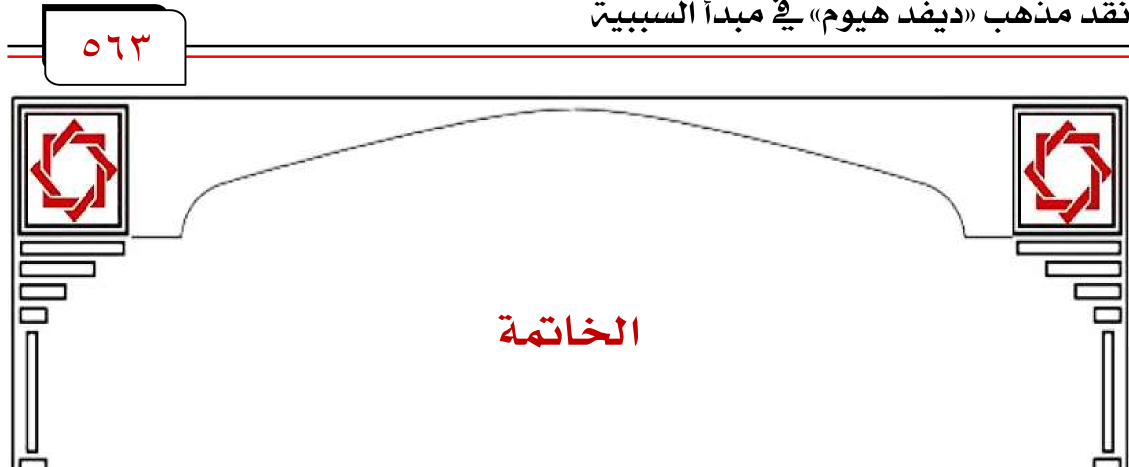
(٢) درء التعارض ١/١٧٨-١٧٩.

بالتأكيد، قلَّما نفهم أعمال الواحد كما أعمال الآخر. فهل من الأصعب تصور أنَّ الحركة تتولد من الإرادة؟! إنَّ كل ما نعرفه هو جهلنا العميق في الحالتين معًا»[١].

فكان الواجب على هيوم أن يقر بطرق المعرفة الأخرى، أو يقول: لا أعلم، لا أن ينكر على الناس ما علموه وتيقنوه. وكان يكفيه ما قاله فيما نقلته عنه آنفًا: «وعلى أولئك الذين يقررون وجودها ويقررون أنها المصدر الذي نصدر عنه في شتى أحكامنا على أمور الواقع، أن يظهروها لنا». لا أن ينكر ما علمه غيره فينكر الضرورات والبدهيات، وهذا ليس من عمل المتجردين للحقيقة.



(١) مبحث في الفاهمة البشرية، ص١٠٦.



الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه.

أمَّا بعد:

فهده بعض نتائج البحث:

١- أثر الأسباب في المسببات، أو القوى والطبائع وخصائص الأشياء مبدأ كلي فطري أوَّلي ضروري.

٢- هيوم أوَّل مَن أنكر أثر الأسباب في العصر الحديث، وقد تأثر في ذلك - على الأرجح والأظهر - بأبي حامد الغزالي، مع وجود الفرق بينهما من نواحي أخرى فالغزالي مسلم، وهيوم فيلسوف شكَّاك زنديق. كما تأثر بالغزالي أيضًا ديكارت في نفي المحسوسات، وهو يدل على تعظيم كبار فلاسفة الغرب لعلماء المسلمين؛ لأنهم أخذوا منهم بتقليد أعمى. وأيضًا فيه تحذير من زلات العلماء ومن علم الكلام المخالف للكتاب والسُّنَّة فقد يتأثر بها قوم كثير؛ لذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «المتكلمون لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا».

٣- كان هيوم شكاكًا ريبيًّا، خصمًا لكافة الأديان، وكان يصف نفسه بالشاك، وذاعت شهرته باعتباره زنديقًا، وكان من دعاة العلمانية.

٤- السببية العقلية تعبر عن ضرورة أنَّ السبب الذي يقود إلى نتيجة ما في ظل شروط معينة وانتفاء الموانع يظل يعطي النتيجة نفسها في ظل الشروط نفسها في أي زمان ومكان.

٥- الحق في مسألة السببية هو التوسط بين منكري أثرها وبين القائلين بحتمية وقوع المسبب بهذا السبب المعين، فلا ينكر أثر الأسباب، ولا يقال بحتمية وقوع المسبب بهذا السبب المعين، فتأثير السبب لا يقع إلَّا إذا وجدت أسباب معاونة، وانتفت الموانع، والله ﷻ خالق السبب والمسبب، ولا يوجد سبب مستقل بالتأثير إلَّا مشيئة الله ﷻ ، وهو قادر ﷻ على إبطال أثر السبب، كما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام، وعلى الخلق بدون الأسباب المطردة، كما خلق آدم من تراب، وعيسى من أم بلا أب، وحواء من أب بلا أم. وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلًا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائمًا، فقال: يا رسول الله، هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا، قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «**اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا**». قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، ولا شيئًا، وما بيننا وبين سلع من بيت، ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء، انتشرت ثم أمطرت»(١)، فخلق الله هذه السحاب وهذا المطر بغير الأسباب

(١) رواه البخاري، ١٠١٣.

المعلومة. وكذا في خرق الله ﷻ للعادات في معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، وهو على كل شيء قدير.

٦- إنكار أثر الأسباب وجعل العلاقة بين السبب والمسبب أو النتيجة مجرد اقتران عادي وتعاقب وتجاور سفسطة ومكابرة للمعلوم بالضرورة من الحس والعقل.

٧- ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسُّنَّة يزيد على عشرة آلاف موضع، إضافة إلى أدلة العقول والفطرة السليمة.

٨- بدون إثبات السببية العقلية لا يمكن إثبات الواقع المحسوس وما يسير عليه من نظريات وقوانين علمية تفتح المجال أمام المعارف البشرية؛ لأنه سيجعل صياغة قوانين الطبيعة أمرًا غير ممكن، ومن ثَمَّ ستهتز أركان العلم، فإذا سقط مبدأ العلية انهارت جميع العلوم الطبيعية، وستتزعزع قواعد الحضارة.

٩- السبب الرئيس لإنكار هيوم أثر الأسباب هو مذهبه التجريبي السوفسطائي الذي يرفض كل معرفة من غير طريق الحواس والتجربة.

١٠- أنَّ إثبات الضرورات الكلية والأوائل ليس مصدرها الحس، بل العقل، وهو خاصة العقل.

١١- أنَّ المبادئ العقلية الضرورية الفطرية غير محتاجة إلى برهان؛ إذ هي بنفسها تثبت صدق ذاتها، ولا يمكن الاستدلال لها؛ لأنها أساس الاستدلال، فيستدل بها لا لها.

١٢- استدلال هيوم بكون تصور ماله بداية لا يتضمن تصور أنَّ له

علة، على نفي ضرورة السببية مغالطة؛ لأنَّ مفهوم الحادث وإن لم يتضمن مفهوم السببية إلَّا أنه يستلزمه ضرورة، بحيث لا يمكن في العقل تصور ما له بداية دون تصور أن يكون له سبب.

١٣- عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، فهيوم إذا جهل أثر السبب لم يكن هذا علمًا منه بعدم ذلك، ولا بعدم علم غيره به.

١٤- طرق العلم والمعرفة ثلاثة: الحس، والعقل، والمركب منهما كالخبر؛ فمَن كذَّب بطريق منها فاته من العلوم بحسب ما كذب به من تلك الطرق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





المصادر والمراجع

١- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

٢- الأسس المنطقية للاستقراء، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الخامسة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٣- إمانويل كنت، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٧م.

٤- البراهين العقلية على وحدانية الرب ووجوه كماله، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٩هـ.

٥- تاريخ الفكر الأوروبي الحديث، رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، القاهرة، مصر، الطبعة، الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٦- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، آفاق للنشر والتوزيع: القاهرة، ميدان طلعت حرب، ط١، ٢٠١٦م.

٧- التعريفات، الجرجاني علي بن محمد، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة.

٨- تهافت التهافت، ابن رشد، تقديم وشرح: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٩- حكمة الغرب، برتراند رسل، ترجمة: فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي، سنة ٢٠٢١م.

١٠- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم، دار الكتب العلمية، بيروت، عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١١- ديفد هيوم، زكي نجيب محمود، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، ٢٠٢١م.

١٢- الرد على المنطقيين، ابن تيمية أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم، إدارة ترجمان السنة: لاهور باكستان، عام ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

١٣- رسالة في الطبيعة البشرية، ديفيد هيوم، ترجة: عبد الكريم ناصيف، دار الفرقد، دمشق، سوريا، الطبعة: الأولى: ٢٠١٦م.

١٤- السببية الناقصة، سارة دبوسي، مجلة الاستغراب، المجلد: ٤، العدد: ١٨ (٣١ يناير/ كانون الثاني ٢٠٢٠)، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، تاريخ النشر: ٢٠٢٠/١/٣١م، دولة النشر: لبنان.

١٥- السببية عند الأشاعرة، دراسة نقدية، جمعان محمد الشهري، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

١٦- السببية في العلم وعلاقة المبدأ السببي بالمنطق الشرطي، السيد نفادي، الناشر: دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة:

الأولى، ٢٠٠٦م.
١٧- شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير أو المختصر المبتكر شرح المختصر، المؤلف: محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار، المحقق: محمد الزحيلي، نزيه حماد، الناشر: وزارة الأوقاف السعودية، سنة النشر: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
١٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
١٩- العالم بين العلم والفلسفة، تأليف: جاسم حسن العلوي، الناشر: المركز الثقافي العربي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٥م.
٢٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن محمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢١- الفلسفة الحديثة، عرض ونقد، أحمد السيد رمضان، الناشر: مكتبة الإيمان، المنصورة.
٢٢- فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.
٢٣- في عالم الفلسفة، أحمد فؤاد الأهواني، الناشر: مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، طبعة: ٢٠٢٣م.
٢٤- القاموس المحيط، محمد يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة،

بيروت.

٢٥- القسطاس المستقيم، أبو حامد الغزالي، قرأه وعلق عليه: محمد بيجو، المطبعة العلمية، دمشق، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٦- قصة الفلسفة، ول ديورانت، ترجمة: د. فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط٦.

٢٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبطه وصححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٨- لسان العرب، محمد بن منظور الافريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى.

٢٩- الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كولينز، ترجمة: فؤاد كامل، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٨م.

٣٠- لوائح الأنوار السنية، ولواقح الأفكار السنية، محمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: عبد الله محمد البصيري، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣١- مبحث في الفاهمة البشرية، ديفيد هيوم، ترجمة: د. موسى وهبة، الناشر: دار الفارابي، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٨م.

٣٢- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: أحمد عبد الحليم

بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية.

٣٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

٣٤- مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٧٥م.

٣٥- المستصفى في علم الأصول، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٦- المعرفة في الإسلام مصادرها ومجالاتها، عبد الله محمد القرني، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٧- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨- مناهج البحث عند مفكري الإسلام، علي سامي النشار، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

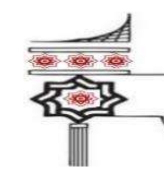
٣٩- المنطق الحديث ومناهج البحث، د. محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة: الثانية.

٤٠- المنطق القديم، عرض ونقد، محمد محمود مزروعة، دار اليسر، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
٤١- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.
٤٢- منهج رينيه ديكارت المعرفي، عبد القادر محمد الغامدي، بحث محكم ومنشور في مجلة جامعة الطائف.
٤٣- الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.
٤٤- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، تأليف: د. عبد المنعم الحفني، الناشر: مكتبة مدبولي، الطبعة: الثانية، ١٩٩٩م.
٤٥- موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤م.
٤٦- الموسوعة الفلسفية العربية، عدة باحثين، معهد الإنماء العربي، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.
٤٧- الموسوعة الفلسفية المختصرة، فؤاد كامل وآخرين، دار القلم، بيروت.
٤٨- موقف رينيه ديكارت من الميتافيزيقا والدين، د. عبد القادر محمد الغامدي، بحث محكم في مجلة جامعة أم القرى رقم (٤٤٠١٠٧٢٣٨٠) وسينشر فيها قريبًا - إن شاء الله -.
٤٩- نشاة الفلسفة العلمية، تأليف: هانزر ريشنباخ، ترجمة: فؤاد زكريا،

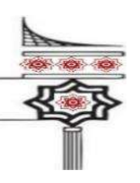
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٢م.

٥٠- نقد الملحدين لقانون العلية، دافيد هيوم نموذجًا، د. محمد الناصر، مجلة الدليل، التابعة لمؤسسة الدليل التابعة للعتبة الحسينية، العدد: السادس، السنة: الثانية، ٢٠١٩م.

٥١- نقد علاقة السببية عند هيوم، لداود خليفة، نشر في مجلة: إسهامات للبحوث والدراسات، الصادرة عن كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة غرداية، الجزائر. المجلد: ٢، رقم: ٢، تاريخ: ٢٠١٧/١٢/٣١م.



Index of sources and references



1- Ihya' 'Ulum al-Din, authored by Abu Hamid Muhammad ibn Muhammad al-Ghazali al-Tusi (d. 505 AH), published by Dar al-Ma'rifah, Beirut.
2- Al-Usas al-Mantiqiyyah lil-Istiqra, by Muhammad Baqir al-Sadr, published by Dar al-Ta'aruf lil-Matbu'at, Beirut, fifth edition, 1406H - 1986.
3- Immanuel Kant, by Abdel Rahman Badawi, published by Publications Agency, Kuwait, first edition, 1977.
4- Al-Barahin al-'Aqliyyah 'ala Wahdaniyyat al-Rabb wa Wujuh Kamalihi, by Abdul Rahman bin Nasir al-Sa'di, published by Dar Ibn al-Jawzi, first edition, 1429H.
5- Tarikh al-Fikr al-Urubbi al-Hadith, by Ronald Stromberg, translated by Ahmad al-Shaybani, published by Dar al-Qari' al-Arabi, Cairo, Egypt, third edition, 1415H - 1994.
6- Tarikh al-Falsafah al-Hadithah, by Youssef Karam, published by Afaq for Publishing and Distribution: Cairo, Tala’t Harb Square, first editian, 2016.
7- Al-Ta'rifat, by Ali bin Muhammad al-Jurjani, edited by Muhammad Siddeeq al-Minshawi, published by Dar al-Fadilah, Cairo.
8- Tahafut al-Tahafut, by Ibn Rushd, introduction and commentary by Muhammad Abid al-Jabiri, published by the Center for Arab Unity Studies, Beirut, Lebanon, first edition, 1998.
9- Hikmat al-Gharb, by Bertrand Russell, translated by Fuad Zakariya, published by Muassassat Hindawi, 2021.
10- Dar' Ta'arud al-'Aql wal-Naql, by Ibn Taymiyyah Ahmad bin Abdul Salam bin Abdul Halim, published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, 1417H - 1997.
11- David Hume, by Zaki Najib Mahmoud, published by Muassassat Hindawi, United Kingdom, 2021.
12- Al-Radd 'ala al-Mantiqiyyin, by Ibn Taymiyyah Ahmad bin Abdul Salam bin Abdul Halim, published by Idarah Tarjuman al-Sunnah, Lahore Pakistan, 1396H - 1976.

13- Risalah fil-Tabi'ah al-Bashariyyah, by David Hume, translated by Abdul Karim Nasif, published by Dar al-Farqad, Damascus, Syria, first edition, 2016.
14- Al-Sababiyyah al-Naqisah, by Sarah Dubosi, al-Isteghrab Journal, Volume: 4, Issue: 18 (31 January 2020), Islamic Center for Strategic Studies, Publication Date: 31/1/2020, Publication Country: Lebanon.
15- Al-Sababiyyah 'ind al-Asha'irah, Dirasah Naqdiyyah, by Jum'aan Muhammad Al-Shihri, published by Dar Taybah al-Khadra', Mecca, first edition, 1432H - 2011.
16- Al-Sababiyyah fil-'Ilm wa 'Alaqat al-Mabda' al-Sababi bil-Mantiq al-Sharti, by Al-Sayyid Nafadi, published by Dar al-Tanweer for Printing and Publishing, Beirut, first edition, 2006.
17- Sharh al-Kawkab al-Munir al-Musamma bi Mukhtasar al-Tahrir or al-Mukhtasar al-Mubtakar Sharh al-Mukhtasar, by Muhammad bin Ahmad bin Abdul Aziz al-Futuhi al-Hanbali known as Ibn al-Najjar, edited by Muhammad al-Zuhaili, Nazih Hammad, published by the Saudi Ministry of Awqaf, 1413H - 1993.
18- Shifa' al-'Alil fi Masail al-Qada' wal-Qadar wal-Hikmah wal-Ta'lil, by Ibn Qayyim al-Jawziyyah, edited by Muhammad Badr al-Din al-Halabi, published by Dar al-Fikr, Beirut, 1398H.
19- Al-'Alam bayn al-'Ilm wal-Falsafah, by Jasim Hasan al-Alawi, published by the Arab Cultural Center, first edition, 2005.
20- Al-Fasl fil-Milal wal-Ahwa' wal-Nihal, by Ali bin Muhammad bin Hazm al-Dhahiri, published by Maktabat al-Khanji, Cairo.
21- Al-Falsafah al-Hadithah, 'Ard wa Naqd, by Ahmad Sayyid Ramadan, published by Maktabat al-Iman, Mansoura.
22- Falsafatuna, by Muhammad Baqir al-Sadr, published by Dar al-Ta'aruf lil-Matbu'at, Beirut, third edition, 1430H - 2009.
23- Fi 'Alam al-Falsafah, by Ahmad Fuad Al-Ahwani, published by Muassassat Hindawi, United Kingdom, 2023.
24- Al-Qamus al-Muheet, by Muhammad Yaqub al-Fayruzabadi, published by Muassassat Al-Risalah, Beirut.
25- Al-Qistas al-Mustaqim, by Abu Hamid al-Ghazali, read and annoted by Muhammad Bijou, published by al-Matba'ah al-Ilmiyyah, Damascus, 1413H - 1993.

26- Qissat al-Falsafah, by Will Durant, translated by Dr. Fathullah Muhammad Al-Masha'sha', published by Maktabat al-Ma'arif, Beirut, sixth edition.
27- Al-Kashaf 'an Haqa'iq Ghawamidh al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil, by Mahmud bin Omar bin Ahmad al-Zamakhshari (d. 538 AH), edited by Mustafa Hussain Ahmad, published by Dar al-Rayyan lil-Turath, Cairo, and Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, third edition 1407H - 1987.
28- Lisan al-Arab, by Muhammad bin Mandhur al-Afriqi, published by Dar Sader, Beirut, first edition.
29- Allah fil-Falsafah al-Hadithah, by James Collins, translated by Fuad Kamel, published by Dar Quba for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, second edition, 1998.
30- Lawaih al-Anwar al-Sunniyyah wa Lawaqih al-Afkar al-Sunniyyah, by Muhammad bin Ahmad al-Saffarini, edited by Abdullah Muhammad al-Busairi, published by Maktabat al-Rushd, Riyadh, first edition, 1415H.
31- Mabahith fil-Fahimah al-Bashariyyah, by David Hume, translated by Dr. Musa Wahbah, published by Dar al-Farabi, Beirut, first edition, 2008.
32- Majmu' al-Fatawa li-Sheikh al-Islam Ibn Taymiyyah, authored by Ahmad Abdul Halim Ibn Taymiyyah al-Harrani Abu al-Abbas, edited by Abdul Rahman bin Muhammad bin Qasim al-'Asimi al-Najdi, published by Maktabat Ibn Taymiyyah, second edition.
33- Madarij al-Salikin bayna Manazil Iyyaka Na'budu wa Iyyaka Nasta'in, by Ibn Qayyim al-Jawziyyah, edited by Muhammad Hamid al-Fiqi, published by Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, second edition, 1393H - 1973.
34- Madkhal Jadid ila al-Falsafah, by Abdul Rahman Badawi, published by Publications Agency, Kuwait, first edition, 1975.
35- Al-Mustasfa fi 'Ilm al-Usul, by Abu Hamid al-Ghazali, edited by Muhammad Abdul Salam Abdul Shafi, published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut, first edition, 1413H.
36- Al-Ma'rifah fil-Islam Masadiruha wa Majalatuha, by Abdullah Muhammad al-Qarni, published by Al-Ta'sil Center for Studies and Research, first edition, 1429H - 2008.

37- Muftah Dar al-Sa'adah wa Manshur Wilayat al-'Ilm wal-Iradah, by Ibn Qayyim al-Jawziyyah, published by Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah, Beirut.
38- Manahij al-Bahth 'ind Mufakkiri al-Islam, by Ali Sami al-Nashar, published by Dar al-Nahda al-Arabiyyah for Printing and Publishing, Beirut, 1404H - 1984.
39- Al-Mantiq al-Hadith wa Manahij al-Bahth, by Dr. Mahmoud Qasem, published by Anglo Egyptian Library, second edition.
40- Al-Mantiq al-Qadim, 'Ard wa Naqd, by Muhammad Mahmoud Mazru'a, published by Dar al-Yusr, Cairo, second edition, 1440H - 2019.
41- Minhaj al-Sunnah al-Nabawiyyah, by Ahmad bin Abdul Halim bin Taymiyyah, edited by Muhammad Rashad Salem, published by Muassassat Qurtuba, first edition, 1406H.
42- Manhaj Rene Descartes al-Ma'rifi, by Abdul Qader Muhammad al-Ghamdi, peer-reviewed research published in the Journal of Taif University.
43- Al-Muwafaqat fi Usul al-Fiqh, by Ibrahim bin Musa al-Shatibi, edited by Abdullah Daraz, published by Dar al-Ma'rifah, Beirut.
44- Mawsu'at al-Falsafah wal-Falasifah, by Dr. Abdul Mun'im al-Hifni, published by Maktabat Madbuli, second edition, 1999.
45- Mawsu'at al-Falsafah, by Abdul Rahman Badawi, published by the Arab Institute for Studies and Publishing, first edition, 1984.
46- Al-Mawsu'at al-Falsafiyyah al-Arabiyyah, by several researchers, published by the Arab Development Institute, first edition, 1988.
47- Al-Mawsu'at al-Falsafiyyah al-Mukhtasarah, by Fuad Kamel and others, published by Dar al-Qalam, Beirut.
48- Mawqif Rene Descartes min al-Metafiziqa wal-Din, by Dr. Abdul Qader Muhammad al-Ghamdi, peer-reviewed research to be published soon -God willing- in the Journal of Umm al-Qura University, Number: (4401072380).
49- Nash'at al-Falsafah al-'Ilmiyyah, by Hans Reichenbach, translated by Fuad Zakaria, published by Dar al-Wafa for World of Printing and Publishing, Alexandria, 1962.
50- Naqd al-Mulhidin li-Qanun al-'Iliyyah, David Hume Namudhajan, by Dr. Muhammad al-Nasir, Al-Dalil Journal, affiliated with the Muassassat al-Dalil affiliated with al-'Utbah

al-Hussainiyyah, Issue: Sixth, Year: Second, 2019.

51- Naqd 'Alaqat al-Sababiyyah 'ind Hume, by Dawood Khalifa, published in the Is-haamat Journal for Research and Studies, issued by the Faculty of Social Sciences and Humanities, University of Ghardaia, Algeria, Volume: 2, Number: 2, Date: 31/12/2017.



فهرس الموضوعات

KINGDOM OF SAUDI ARABIA
MINISTRY OF EDUCATION
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH
COLLEGE OF THEOLOGY AND DA'WAH
SAUDI SCIENTIFIC ASSOCIATION
FOR SCIENCES OF THEOLOGY,
RELIGIONS, SECTS & IDEOLOGIES







JOURNAL OF THEOLOGICAL STUDIES



A Refereed Academic Journal

Volume (17) - Number (34) - Muharram (1446 AH) - July (2024 CE)